

مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

رمضان 1441هـ - مايو 2020

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين تأثروا بالأدب العربي هنري لويس فيغيان ديروزيو Henry Louis Vivian Derozio (1809 – 1831)، وهو شاعر هندي من أصل برتغالي. برز في مجال الإصلاح الاجتماعي والقانون والصحافة، وكان ناشطاً اجتماعياً من أوائل الأكاديميين الذين فتحوا نوافذ العلوم الغربية في بلاد البنغال، رغم أنه لم يعيش طويلاً، إذ اختطفه الموت مبكراً وعمره 22 عاماً حين أصيب بمرض الكوليرا.

نشر ديروزيو في أكتوبر سنة 1825 قصيدة بعنوان «أغنية عنتره العربي: صياغة جديدة». والقصيدة تظهر مدى تأثير الشاعر بالأدب العربي؛ فهو بمفهوم النقاد «يتناض» مع الشاعر العربي الشهير عنتره بن شداد، بل إنه ينظم قصيدة على لسان عنتره مستلهماً بنغزته الغزلي في حبيبته عبله. وقد لغت نظري، وأنا أقرأ قصيدة ديروزيو، حرصه على «إعادة سبك أو صياغة»، وصف عنتره لعبله، وهو أمر سيلمسه القارئ العربي في ترجمتي لهذه القصيدة.

«أغنية عنتره العربي: صياغة جديدة»

إني أُحبُّك حُبَّ الفارسِ البَطلِ
لَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ تُشْقِيَنِي وَتُبْسِمُ لِي
وَأَنْ قَلْبِي مَتَّبِعُ بِلَا جَدِّ
وَأَنْ أَهْلَامَ رُوحِي دُونَهَا أَمَلِ
يَا عَيْلَ أَنِّي لِبَشْعَرِي وَضْفَ فَاتِنَةَ
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ سَائِرِ الْمُثَلِّ؟
حَاشَا لَطَلْعَتِكَ الْغُرَا أُشْبِهُهَا
بِنَبِيٍّ فِي السَّمَاءِ بَدْرٌ وَمُكْتَمَلِ!
وَأَعْجَزُ الْوَضْفِ وَضْفَ الْغَيْنِ إِنْ نَظَرْتُ
يَا سَحْرَهَا وَهِيَ تَجْلُو اللَّيْلَ بِالْمَقْلِ!
وَقَدْ كِ الْأَهْيَفِ الْمَيَاسِ أَظْلَمَهُ
لَوْ قَلْتُ فِي حُسْنِهِ كَالسَّرْوِ وَالْأَسَلِ
جَبِينُكَ الشَّمْسُ تَحْشَاهَا الْعَيُونَ ضُحِي
وَكَيْفَ يَرْتَدُّ ظَرْفٌ بِالضِيَاءِ ضَلِي؟
وَشَعْرُكَ الْفَاحِمِ الْمُنْسَابِ وَلَهْنِي
كَاللَّيْلِ يَلْهُو بِعَقْلِ الْهَائِرِ التَّمَلِ
أَوَاهُ مِنْ جَنَّةِ غَنَاءٍ قَدْ حَرَسَتْ
تَهَذَا تَكْوَرُ مِنْ حُسْنِ عَلَى مَهَلِ
وَسِمِّطُ لَوْلُوكِ الْبِرَاقِ مُزْدَرِيَا
جَوَاهِرُ الْبَحْرِ فِي الْإِبْدَاعِ وَالرَّتْلِ
قَدْ كُنْتُ جَنَّتِي الْغَلِيَا، وَمُذْ رَكَلْتُ
ضَاقَتْ عَلَيَّ الدُّنَا مُسْوَدَةَ السَّبَلِ
يَا وَرْدَةَ تَمَسَّخِ الْأَكْرَانَ بِسَمْتِهَا
نَدِي فَوَادِي، أَنَا الْمَحْزُونُ مِنْ أَزْلِ
قَدْ أَوْرَثْتُ عَيْنَكَ النِّجْلَاءَ فِي كَيْدِي
مَا يُوْرَثُ السَّيْفُ فِي الْأَحْشَاءِ مِنْ عِلْلِ
وَكَلَّمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى قَمَرِ
بَكَيْتُ ذِكْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
فَالْحُسْنُ وَالْبَعْدُ مِنْ أَقْدَارِ حَيْكَمَا
وَيْلٌ لِعَنْتَرَةَ الْوَلْهَانَ مِنْ أَجْلِ!



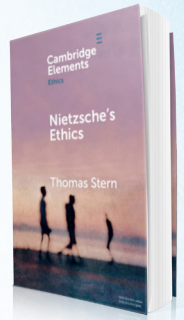
- الأفكار الموازية... جان فرانسوا آيشانسون
- المسيحيون والمسلمون... لويديجي أندريا بيرتو
- حمل النفعية محمل الجد كريستوفر وودارد



- الحمض النووي... أناتولي كليوسوف



- الموسوعة الإسلامية... مجموعة من الكتاب



- أخلاق نيتشه توماس ستيرن



- ثقافه التفشي... مجموعة مؤلفين



- موسوليني... فرانچيسكو فيليببي



- دار الإسلام المتهاوية... رُود كُوبمانس

إصدارات عالمية جديدة





حمل النفعية محمل الجد كريستوفر وودارد

مُحمَّد الشيخ *

مذهبان فلسفيان قيض لهما في التاريخ المعاصر أن يصيرا مذهبي دولة: إن رسميا (الماركسية في النظام الشيوعي) أو عرفيا (النفعية في النظام الرأسمالي). ورغم أن النزعة النفعية تعرضت إلى انتقادات شديدة، من فريدريش نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) إلى جون راولز (١٩٢١-٢٠٠٢)، حتى اعتُقد أنها لن تقوم لها قائمة بعد هذا النقد، فإن عودة الروح إليها، في السنوات الأخيرة، تُظهر أن من شأن الأفكار الفلسفية أن تتوارى وأن تنحجب وأن تُنسى، لكن ليس من شأنها أن تموت ميتة نهائية، كما تُعلن أن النفعية أمست، في غفلة من لدن الكثير من منكريها، ضربا من الفلسفة العنصرية المتشاطرة على نحو واسع ... بحيث تكاد أن تسمي لكل إنسان فلسفتان: فلسفته التي تخصه، وفلسفة النفعية التي تعم أفراد المجتمع.

هذه، وذلك بالذات لكونها بسيطة. والحال أن الناس يعتبرون أننا نعيش في واقع شديد التعقيد، وأن النفعية تفشل في مواكبته بفكرتها البسيطة هذه. والذي عند صاحب الكتاب، أن النفعية ثمرة تألف ثلاثة مذاهب: أ. النزعة العواقبية التي تدعي تفسير الظواهر الأخلاقية، مثل صوابية أفعالنا وعدالة مؤسساتنا وفضيلة فاعلينا أو رذيلتهم، بوفق خيرية الثمرة التي تثمر: حيثما ثمة الأثر الطيب، فالفضل صائب. ب. نزعة الرفاهية التي تزعم أن ما يهم هو المساهمة في الرفاهية؛ مثل اعتبار أن استقلال الشخص خير بقدر ما يحقق رفاهيته، وأن المرض شر بقدر ما يحول بينه وبين رفاهة العيش؛ بما يعني أن قيمة أثر الفعل تقاس بمدى إسهامه في رفاهية الشخص. ج. نزعة الترتيب بالمجامع التي تقول بأن قيمة أثر فعل معين إنما تعادل مجموع الخيرات التي يحققها الفعل. وبالجمل، تشير النفعية إلى حزمة من الأناظر التي تسعى إلى تفسير صوابية أفعالنا ودواعيها وعدالتها وفضيلتها بوفق عواقبها وأثارها، وهي تتضمن التزاما بمبدأ الرفاهية وبحساب مجموع الخيرات المتحصلة عن الفعل، مدعية أن أثر فعلا يكون أفضل من أثر فعل آخر إذا ما هو تضمن تحقق أكبر قدر من الرفاهية ...

الطعون على النفعية وردود المؤلف عليها:

ينقسم الكتاب إلى بابين رئيسيين: باب الطعون أو الاعتراضات على النفعية، وباب الردود عليها أو دفع الاعتراضات.

وهكذا، يخصص المؤلف الفصل الثاني من كتابه لاستعراض الاعتراضات على النفعية: ١- نظرية القيمة في النفعية غير ملائمة. ٢- تتسامح النفعية من أفعال فظيعة. ٣- النفعية فلسفة شديدة التطلب من الفاعلين بما لا طاقة لهم به. ٤- تفشل النفعية في احترام التفرقة بين الأشخاص. ٥- تعجز النفعية عن تفسير التمايز

المدخل: ينطلق المؤلف من مفارقة: بينما السياسات العمومية، في مجال صحة السكان ورفاهية عيشهم مثلا، تستند إلى المبدأ النفعي. تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس. فإن الفلاسفة ما يفتأون يُبَكِّتُونَ على النفعية التبركيت. والحال أن موقف الفلاسفة من النفعية يقوم، بدوره، على مناقضة: جذابة هي النفعية، لكنها مخطئة... ما النفعية؟

كما لاحظ ذلك الكثير من المتعاطفين معها، تعاني النفعية من اسمها. إذ يفهم منها، عادة، موقفا تبسيطيا يجعل من الإنسان كائنا لا ينشد إلا الانتفاع وحده، ولا يهمه أن الأمر أعقد وأن الواقع أوسع. وما زال هذا الفهم ساريا حتى أنه بات يذكرنا بقولة فاوست في مسرحية جوته: «رمادية، أي صديقي، كل نظرية، لكن خضراء هي شجرة الحياة الذهبية». على أن المؤلف يرى أن النفعية جملة أنظار وتقليد فكري تنعشه فكرة «بسيطة» و«جميلة»: ما يهم، في نهاية المطاف، هو أن يحيا الناس حياة طيبة، ورفاهية كل شخص على قدم المساواة هو الأمر الأهم في المهم. وعادة ما تختزل النفعية في نظرية في صوابية الفعل: متى يكون فعلنا صوابا ومتى لا يكون. لكن المؤلف يرى أنها أوسع من ذلك بكثير؛ بحيث تشمل نظرية في دواعي أفعالنا وفي الحقوق المعنوية أو الخلقية وفي العدالة وفي المساواة وفي المشروعية وفي الديمقراطية وفي الفضيلة ... وبناء عليه، يسعى المؤلف إلى تطوير نسخة جديدة من النفعية بحيث تكون نسخة «جديدة» و«جذابة» ...

ويحاول النفعيون تفسير الأجزاء المكونة للأخلاق. دواعي الفعل، صوابيته، عدالته، فضيلته. على أساس تهذيب تلك الفكرة البسيطة. ولا تقليد في الفكر الأخلاقي يمتلك مركزا له مثل هذه الفكرة الإنسية الجذابة. لكن النفعية تسقط ضحية فكرتها البسيطة

ينطلق مؤلف هذا الكتاب - حمل النفعية محمل الجد - من شكوى من حال النفعية اليوم، لقد أمست النزعة النفعية نسبة منسية، لا سيما في جانبها الأخلاقي والسياسي، وما عادت تشكل هي «موضة فلسفية»؛ بسبب من اعتبارها فلسفة فجأة. وحتى حينما يتم النظر إليها بعض من النظر، فإن ذلك يتم باعتبارها نزعة «عواقبية» تقيّم فعل الإنسان بالنظر إلى عواقبه وأثاره وثماره. بل وحتى بين «العواقبيين» أنفسهم، باتت تحظى النفعية بسمعة سيئة: هي فلسفة عواقبية لبسطاء التفكير من الناس تفتقد إلى التفطن إلى تعقيدات الحياة، وتقوم على تصور للنفس البشرية ساذج وتبسيطي.

يهدف هذا الكتاب إلى إعادة التقدير لتلك الفلسفة المتنبذة. وذلك من خلال أمرين: أ. إعادة إثارة مسألة إحياء الاهتمام بالنظرية النفعية، وذلك بالنظر إلى قضايا الأخلاق والسياسة اليوم. ب. إعادة بعث التقليد النفعي برمته (جريمي بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢)، جون ستوارت مل (١٨٠٦-١٨٧٣)، هنري سيدجويك (١٨٣٨-١٩٠٠))، بحسبانه تقليدا لا يزال له ما يقوله لنا. وحتى يتسنى له ذلك، يسلك المؤلف في هذا الكتاب مسلك الرد على الاعتراضات التي كانت قد أبدت على النزعة النفعية. وهي في عداد ستة اعتراضات جوهرية. ويعد هذه الاعتبارات بمثابة محك لهذه النظرية. وهو يرفع تحدّي: يعرض نسخة معدلة من النفعية. أرحب أفقا وأعد بنية وأشد التزاما بقضايا السياسة والأخلاق. على محك هذه الاعتراضات الستة، وينظر في ما إذا كانت النظرية النفعية قادرة على الاستجابة إلى هذا التحدي. فإذا ما أظهرت ذلك، فمعنى هذا أن النفعية لها من الإمكانيات ما يجعلها قادرة على تجاوز كل المحن/الامتحانات؛ وبالتالي لم تمت هي بل لا زالت حية ترزق. هي ذي خطة صاحب الكتاب.



أهمية الديمقراطية. ينكر المؤلف هذا الإلزام، مبرزا اقتدار النفعية على تفسير هذه الأمور. ويطرح مفهوم «المشروعية» «الرقيق» الذي ينص على أنه: يكون إجراء ما إجراء مشروعاً بقدر ما ينضبط الأفراد الخاضعون إلى قراراته لدواعي غير الإكراه والقسر؛ بحيث تسمي المشروعية هنا لا خاصة معيارية صرفة، وإنما خاصة اجتماعية بالأولى وذات دلالة معيارية بالثاني. فهي تفسر ما لا يمكن إنجازه بالإكراه. وهو ما يفتح المجال للقول في الديمقراطية بعينها.

الاعتراض السادس: يميل هذا الاعتراض إلى اعتبار أن النزعة النفعية تقوم على نظرية نفسية في الأفراد غير معقولة، وعلى صورة لحياة الفضيلة غير جذابة. وجواب المؤلف: ثمة نسخة أولى من هذا الاعتراض ترسم صورة للنفعية على أنها نزعة مهووسة بحساب كل شيء: سياسة تستعمل الحساب ذريعة لاتخاذ أي قرار. والحال أن النفعيين ما فتئوا ينكرون هذه التهمة الإنكار. وثمة نسخة أخرى من هذا الاعتراض ترى أن النفعية تفتقد إلى تصور للإنسان الفاعل من حيث ما هو إنسان فاضل؛ أي باختصار تفتقد إلى نظرية في الفضيلة مثلما افتقدت. حسب الاعتراض الأول. إلى نظرية في القيمة. ورغم أن المؤلف يقر بأننا معشر البشر نصاب بالدوار حين يتعلق الأمر بصوابية اتخاذنا لأفعال معينة وخياراتنا ذات الأثر الأخلاقي، فإننا قادرون على إصدار أحكام عاقلة حول قيمة مختلف إجراءات القرار. كما أنه يمكن بلورة «نظرية» الفضائل باعتبارها صفات طبيعية تشكل بواسطة سمات قرارات جيدة (تدفع الفعل دوماً إلى التصرف تصرفاً صائباً)، وكذلك ذات قيمة عالية (تُختار باعتبارها تستأهل المديح بالنظر إلى قواعد ممارسة قواعد مديح تشجع على رفاهية العيش والحياة الطيبة). أخيراً، يخلص المؤلف إلى أن النظرية النفعية، بعد عرضها على محك هذه الاعتراضات الستة، قد خرجت منتصرة؛ بحيث لا تثريب عليها اليوم. فلا اعتراض من هذه الاعتراضات الستة يمكنه أن يطيح بنسخة النفعية التي يرتضيها المؤلف وينافح عنها. ولذلك، فإن النفعية، شأنها في ذلك شأن أية نظرية أخلاقية أخرى، تستحق أن تحمل على محمل الجد.

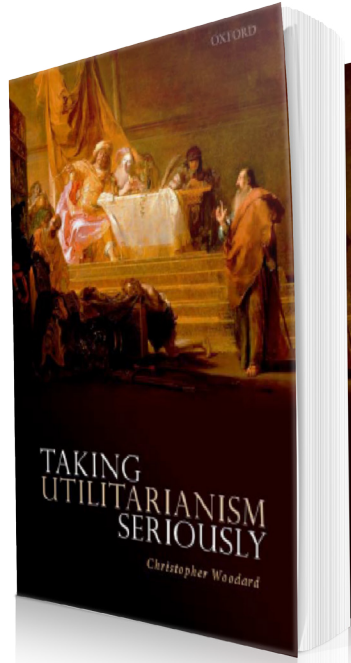
• الكتاب: حمل النفعية محمل الجد

• المؤلف: كريستوفر وودارد

• دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد

• سنة النشر: 2019

* أكاديمي مغربي



إلا وتتطلب من الملتزم بها التزامات وتطلبات؛ إذ ما من نظرية أخلاقية إلا وتتطلب من المرء أن يلتزم بمبادئ، وما كانت النظرية النفعية ببدع من هذا، لا كانت هي شديدة مفرطة في التطلب لا ولا كانت هي مفرطة فيه، بل هي بين بين.

دفع الاعتراض الرابع: يدعي هذا الاعتراض أن النفعية تعامل الناس وكأنهم كتلة واحدة بحيث لا تقيم تفرقة بين الأشخاص. ورد المؤلف على هذا الاعتراض أن مفهوم عدم التفرقة هذا مفهوم شديد الانبها، وأن النفعية لا تمنع من النظر في كل حالة حالة. وحين تفعل، فإنها تجد أنه في العديد من الحالات، يتمثل الصواب في القول بأن من الأمر الصائب أخلاقياً أن يؤدي البعض تكاليف نيابة عن البعض، وذلك تحصيلاً لمنافع أكبر عدد، وما من نظرية تنكر هذا إلا وهي تجانب الصواب. وفي أحوال أخرى، يكون فرض تكاليف على شخص فعال غير صائب حتى وإن كانت له آثار أفضل. لكن، في الحالين معا لا بد من أخذ الإلزامات الأخلاقية بعين الاعتبار، بما في ذلك الحقوق الأخلاقية أو المعنوية، لتفسير الحكم بالصواب أو بالخطأ. دفع الاعتراض الخامس: مفاد هذا الاعتراض أن النفعية تبدو نظرية غير ملائمة إذا ما نحن نظرنا إليها من منظور الفلسفة السياسية. ذلك أنها تقتضي مجرد صورة للسياسة تكنوقراطية وتبسيطية؛ حيث يسعى خبراء أخلاقيون إلى تطبيق مبادئ على قضايا اجتماعية أو اقتصادية. هذا بينما تتطلب السياسة جدلاً وخلافاً بين طرق متعقبة ومتصارعة من رؤى العالم وبين مصالح متعارضة من مصالح بني البشر. وأمام هذا الأمر تبدو النزعة النفعية عاجزة عن تفسير أهمية تسوية الإجراءات؛ وتظهر بالتبع عاجزة عن تفسير

بين القضايا السياسية والقضايا الأخلاقية. ٦- تنهض النفعية على نظرية في النفس الإنسانية غير مناسبة. تشكل هذه الاعتراضات الستة برنامج الكتاب، بحيث تتكفل الفصول اللاحقة من الكتاب بالرد عليها اعتراضاً اعتراضاً. ويؤمن صاحبه أن النفعية التي يعرضها قادرة على رفع تحدي هذه الاعتراضات. ويسعى إلى إيجاد نسخة بمقدورها دفع هذا الاعتراضات. ويجد هذه النسخة في نفعية أهم سماتها خمس: ١- القول بأن ثمرات أفعالنا غير منظورة لنا. ٢- القول بأن دواعي أفعالنا متعددة غير أحادية. ٣- أخذ مسألة الحقوق الأخلاقية بعين النظر. ٤- تقدير أمر العدالة. ٥- اعتبار مسألة الفضيلة. ترى، هل تقتدر نفعية بهذه السمات على رفع تحدي الاعتراضات الستة؟

يشعر المؤلف، في الفصول المتوالية اللاحقة، في دفع هذه الاعتراضات اعتراضاً اعتراضاً:

دفع الاعتراض الأول: يقول هذا الاعتراض بأن النفعية تتوفر على نظرية في القيمة غير ملائمة. والذي عند المؤلف أن النفعية ملتزمة بادعاءين حول مسألة «القيمة»: أ. رفاهية العيش. ب. تراتبية جموع الخيرات. ذلك أنه من الواضح أن قيماً؛ شأن الجمال والمعرفة واستقلال الإنسان بأمره، يمكن تفسيرها بالتمام بمساهمتها في رفاهية عيش الإنسان بما هي مكون من مكونات الرفاهية المنشودة أو بما هي علتها.

دفع الاعتراض الثاني: يذهب هذا الاعتراض إلى أن النفعية ترخص للفاعل البشري باقتراح أفعال منكرة أو على الأقل واضحة البطلان؛ بحيث، مثلاً، يقال إنها تسمح بممارسة التعذيب والاستعباد واقتلاع الأعضاء وإنزال العقوبة على غير المستحق، بل بعدم إرجاع الكتب المستعارة من المكتبة وعدم الوفاء بالوعد إذا كان يتحقق عن ذلك نفع لأكثر عدد من الناس. وينكر المؤلف أن تكون النفعية تسوغ إتيان مثل هذا الأفعال في ظروف بعينها، بل يرى أن النفعيين يؤمنون بالإكراهات الأخلاقية؛ بحيث إنهم يوافقون على أنه من غير الصائب خرق حقوق الأفراد المعنوية والخلقية، وذلك باللجوء، مثلاً، إلى اقتلاع أعضائهم وتعذيبهم أو معاقبتهم على فعل لم يقترفوه. وهو يفسر الإكراهات الخلقية بمفهوم الدواعي المبنية على نماذج سلوك، وذلك بما أن هذه الدواعي هي ما يحمل الشخص على لعب دوره في أنموذج تميميني للفعل؛ وبالتالي فإن الشخص يتحمل وزر الإخلال بها. ذلك أنه لئن يعذب فلان فلانا بلا مسوغ يسوغ ذلك، ذلك أمر أسوأ من أن يعذبه آخر.

دفع الاعتراض الثالث: يزعم هذا الاعتراض بأن النفعيين شديدي التطلب. والحال أن المؤلف يرى أن هذا الأمر متعلق بمطلب الأخلاق بعامه؛ بحيث إن لا أخلاق



المسيحيون والمسلمون في إيطاليا خلال القرون الوسطى لويدجي أندريا بيرتو

عزالدين عناية *

كان للتوسّع الإسلامي في الجهة الغربية للبحر الأبيض المتوسط الأثر البارز في تاريخ إيطاليا. وبالفعل انجر عن ذلك فتح صقلية، وعمّ صدى الحضور العربي قسماً واسعاً من جنوب إيطاليا وأماكن أخرى مجاورة. غير أن المصادر التي بحوزة المؤرخين، حول ذلك التمدد، هي في المجمل أعمال تروي عن وقائع الحروب والغزوات، وعن مظاهر التدافع بين الوافدين والأهليين. ما يزمع المؤرخ لويدجي أندريا بيرتو إبرازه في كتابه: «المسيحيون والمسلمون في إيطاليا خلال القرون الوسطى» هو ذلك التاريخ الاجتماعي الغائب، دون طمس ما فيه من تدافع وتعايش. ليمتدّ القوس الكرونولوجي للبحث، على مدى يتراوح بين مطلع القرن التاسع الميلادي ونهاية القرن الحادي عشر، أي بما يغطي الفترة المتراوحة بين فتح صقلية وإلى غاية استرجاعها من قبل النورمان.

المهدية (سنة ١٠٨٧م) وذلك تحت عنوان «المسيحيون في المصادر الإسلامية».

ثمة ما يبرر المنهج المعتمد من الكاتب، وهو يحاول استعراض العقلية الشعبية الإيطالية أثناء الفتح الإسلامي. ففي الفصل المعنون بـ«الما فوق طبيعي» يستعرض الكاتب مظاهر تدخل القديسين والقديسات في مجريات الأحداث بين المسلمين والإيطاليين، على غرار الظلمة التي أنزلها القديس برتوليميو في عزّ النهار ليخفي السفينة التي تقل رفاقه حتى لا يصادها السراسنة؛ أو النور والظلمة المنبعثين من القديسة إيليا سبيلوتا لترهيب الأعداء الذين حاولوا نهب مرقدها (ص: ١١١-١١٢). فلا يبدي الكاتب انتقاداً لتلك النظرة الأسطورية للتاريخ بل يكفي باستعراضها، إذ عادة ما فسّر المسيحيون القوة الضاربة للمسلمين بأنها سوط عذاب مسلط من الربّ جراء الخطايا المقترفة من قبل المسيحيين.

لكن ما وعد به المؤلف في مستهل كتابه من عناية بالتاريخ الاجتماعي للفاثحين والأهليين من أبناء البلد، أتى باهتا في ثنايا الكتاب، ولم يتعدّ ذكر وقائع محصورة لا تفي بالغرض. فقد غلب على مضامين الكتاب استعراض مظاهر التوتر التي رافقت بدايات الفتح الأولى للمدن الإيطالية، ولم نجد ذكراً موسعاً للتعايش واللقاء، سيما وأنّ القادمين بقوا ما يتعدى القرنين في بعض المدن.

لقد بقي المؤرخ رهين إيراد أشكال المغايرة التي رافقت صدمة نزول المسلمين بالمدن الإيطالية، التي لا شك قد رافقتها مظاهر غلظة وقسوة. ولم ينحّ النص صوب رصد وقائع العيش المشترك، كما غاب من الكتاب توصيف حياة المسلمين وطرق عيشهم، خصوصاً وأنّ ما خلفوه من تأثير في المجتمع كان مبهراً، وهو ما نال عناية لدى مؤرخين آخرين. لقد تسلّطت على الفترة الإسلامية في صقلية العديد من الدراسات، التي باتت من الأبحاث الكلاسيكية في الموضوع،

(صلى الله عليه وسلم). ففي المجمع الكنسي المنعقد في بينيفنتو، بين العام ٨٤٠ والعام ٨٨٠م، جرى منع رجال الكنيسة من حيازة الإماء كجوار، تجنباً لتقليد تلك الممارسة المباحة لدى المسلمين. في مشهد آخر حول الوعي بالدين الإسلامي يورد الكاتب بعض حيثيات مجمع القسطنطينية (٧٨٧م)، وقد تضمّنت المداوولات بعض الإشارات إلى المسلمين، حيث يردّ المسيحيون على اتهام المسلمين لهم بالوثنية.

في الكتاب نجد استدعاءً لصور نمطية عن سلوك المسلمين مع المقدّسات المسيحية، اعتمد فيها الكاتب نصّاً مجهولاً مؤلّف يعود إلى مدينة ساليرنو الإيطالية، بشأن التعامل مع القديسين كايو وأنت. يحاول الكاتب استدعاء كافة أحداث التدافع، كما الشأن أثناء اقتحام كاتدرائتي بطرس وبولس في روما. من زاوية البحث التاريخي يعدّ الكتاب ريادياً في السعي إلى بناء نصّ تاريخي عن فترة تواصل المسيحيين بالمسلمين في جنوب إيطاليا. حيث يعتمد المؤلف الوثائق التاريخية المباشرة وشبه المباشرة عن أحداث تلك الفترة، وذلك بالعودة إلى مخطوطات الكنائس والأديرة في ذلك العهد. ويحاول من خلالها استعادة كافة مظاهر العقلية الوسيطة السائدة في وعي المغايرة. ولا يتوانى المؤرخ عن رصد الوعي الشعبي الأسطوري والخراي في دفع الأذى الذي يمثله المسلمون، ولو كان باستحضار الصور الفانتازية. فعلى سبيل المثال لما وصف نصّ «العهد القديم»-المرجعية الأولى لدى المسيحيين- أتباع الفرعون بشتى النعوت المشينة، تمّ إسقاط تلك الأوصاف على المسلمين، بما يوحي بتحدّر المسلمين من السلالة نفسها. كذلك ثمة نعوت بشأن الخصوم يستعيدتها الكاتب، لا يليق إيرادها مجدداً دون نقاش أو تنبيه لخطورتها. ثم يستعيد الكاتب بالمثل صورة العداة المعكوسة التي صنعها المسلمون تجاه خصومهم النصراني، سيما لما هاجم النورمان مدينة

نذكر أنّ المؤلف لويدجي أندريا بيرتو هو أستاذ التاريخ الوسيط في «جامعة واستارن ميتشيغان» بالولايات المتحدة، وقد صدرت جلّ أعماله بالإنجليزية والبعض منها بالإيطالية وانشغلت أساساً بتاريخ إيطاليا الوسيط. فلم يسبق له أن أصدر كتاباً على صلة بقضايا الثقافة العربية، رغم أنّ حقل بحثه العام على صلة بالثقافة العربية. يُعتبر هذا الكتاب بحثه الوحيد الذي يتطرق فيه إلى تاريخ العرب، أو كما يسميهم «السراسنة»، وقد برز استعمال هذه التسمية بقوله إنّ المسلمين المتوافدين على إيطاليا ما كانوا عرباً بالأساس، بل خليطاً من العرب والأمازيغ والفرس ومن شعوب ما وراء الصحراء، فمال إلى استعمال هذه التسمية الجامعة.

يبقى هدف المؤلف الرئيس في الكتاب السعي للإحاطة بالرواية المرجعية للفتح العربي لصقلية؛ لكن ذلك البحث لم يحلّ أحياناً دون توظيف مصادر غير موثوقة، كما الشأن أثناء الحديث عن قصة ترحيل رفات القديس مرقص من الإسكندرية إلى البندقية، بعد أن اغتتم المسيحيون نفور المسلمين من لحم الخنزير فخبأوا الرفات تحت لحم الخنزير. يحاول الكاتب أن يأتي على التصورات الرائجة في أوساط العامة، والمتداولة بين الصفوة، من ساسة ورجال دين ومتقنين، بشأن المسلمين، مستعرضاً التسميات والنعوت التي كانت تُطلق على المسلمين: مثل السراسنة، والبرابرة، والهاجريين وخصوم الصليب. مبرراً لويدجي أندريا بيرتو من خلالها الصورة الدينية التي هيمنت على المؤرخين الغربيين ممّن أرخوا للمسلمين، كما هو الحال مع إيليا إيل جوفاني (Elia il Giovane) الذي يُسمّى المسلمين بالهاجريين. في الأثناء يتفحص لويدجي أندريا المعارف السائدة حول المسلمين في بدايات الفتح العربي لصقلية، فيبين مثلاً في «يوميات غوليامو دي بوليا» ورود أول ذكر للنبي محمّد



الكتاب خمس خرائط تصوّر تموقع صقلية في المتوسط وفي الجغرافيا الإيطالية بشكل عام. وهي خرائط لا نقدر أنها تشكل إضافة لمضمون الكتاب لكونها تصوّر مضامين عامة كخريطة تموضع صقلية في المجالين الإيطالي والمتوسطي. من جانب آخر لم يعتمد الكاتب الرسوم والجداول في دعم أطروحته وعوّل كلّ التحويل على استحضار النصوص المستمدة من الأرشيفات بالأساس. لعل أدوات التوضيح الإضافية ضرورية في مثل هذه الأبحاث وهو ما أسقطه المؤلف بشكل فجّ من كتابه.

نشير إلى أنّ الكتاب وإن غلب عليه الاعتماد على النصوص المرجعية، فقد تخلّلتها العديد من الهنات من حيث التدوين للفترة والإلمام بكافة معطياتها. ساهمت هذه العناصر وغيرها في جعل الكتاب مؤلفاً عادياً ضمن المؤلفات المعنية بتلك الفترة. فلم نرصد اهتماماً كبيراً في الأوساط العلمية أو الأكاديمية الإيطالية بالكتاب من حيث الاحتفاء بعمق طرحه، ولعل ذلك عائد من هذا الجانب، إلى أنّ الكاتب ليس من جماعة الكتاب المشهود لهم في الدراسات العربية أو الإسلامية في إيطاليا. هذا ما يجعل الكتاب متوسطاً من حيث القيمة العلمية، ولا يرتقي إلى المؤلفات الفارقة التي تؤسس لجديد أو تدحض أخطاء مستشرية. فهو نصّ متواضع من حيث الإسهام في العناية بالفترة المحددة للبحث. رغم ما تطلّع إليه الكتاب من تأريخ لحقبة التعايش بين المسيحيين والمسلمين في إيطاليا أثناء الفتح العربي وبعده، لا نقدر أنّ الكتاب استوفى مقتضيات تلك التطلعات بالإحاطة والاستعراض. جاءت فصول الكتاب في بعض الأحيان استعراضاً مملأً ومتشابهاً لأحداث اقتقدت إلى السلاسة المطلوبة. كنّا نأمل أن يكون الكتاب اكتشافاً للتعايش الاجتماعي في تلك الفترة، وانحيازاً للإسهام الحضاري بعيداً عن المشاحنات الدينية أو القومية. كما أنّ الطابع الروائي للأحداث، دون التعرض إلى تحليل الوقائع، أو نقد المرويات، شكّل جانباً سلبيّاً أخلّ بقيمة الكتاب التاريخية.

- الكتاب: المسيحيون والمسلمون في إيطاليا خلال القرون الوسطى
- تأليف: لويدجي أندريا بيرتو.
- الناشر: منشورات جوفانس (ميلانو-إيطاليا) «باللغة الإيطالية».
- سنة النشر: 2019.
- عدد الصفحات: 247 ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



أن تؤرخ للفترة، حيث حاول الباحث صياغة صورة شبه مواكبة للوقائع. لكن للأسف جاءت العودة للمصادر الأولى مقتصرة على مصدرية وحيدة دون سواها. كان تركيز النص على مظاهر الصراع والتنافس السائدة بين الفاتحين وأهالي البلد، سيما أثناء بدايات نزول المسلمين بالأراضي الإيطالية وغفلته، أو تغاضيه، عن ذكر التعايش الحقيقي في ظلّ حكم المسلمين نقبصة بارزة في الكتاب. فمن الطبيعي أن يسود التوتر إبان لحظات الفتح الأولى، ولكن ما أعقب ذلك من تعايش الناس، هو ما كان يقتضي توضيحاً في مضامين الكتاب التي غلب عليها استعراض أوضاع اللحظة الأولى للفتح.

لم تتسم لغة الكاتب التاريخية بالحياد المطلوب في نقد المصادر. ومن هذا الباب، ما كانت لغة الكتاب العلمية محايدة في العديد من المواضع، حيث غلب على صياغة النص حشر فصوله بالقصص والمرويات ذات الطابع المتكرر وهو ما أثقل النص. أما من حيث اختيار المصطلح، فلا نعدّ خيارات الكاتب موفقة في العديد من المواضع، فعلى سبيل الذكر كان اختيار المؤلف مصطلح «السرّاسة»، دون غيره من المصطلحات، للتعبير عن الفاتحين المسلمين متضمناً لشحنة تحقير وتحامل، رغم محاولته تبرير ذلك الخيار في مطلع الكتاب بكونه المصطلح الراجح في تلك الفترة في الأوساط المسيحية.

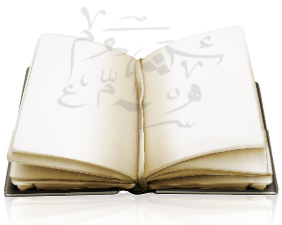
على مستوى الشكل تضمّن الكتاب ثلاثة فهارس لا غير: فهرس للموضوعات، وثان متعلق بالبيبلوغرافيا، وثالث ضمّ الأعلام والأماكن. كما وردت في الكتاب في صفحة يتيمة كرونولوجيا حوّت أهمّ تواريخ الأحداث التي عايشتها صقلية. حيث بدا الكاتب مستعجلاً في تأثيث مضامين كتابه بما يلزمها من فهارس. كما تضمّن

نذكر على سبيل المثال كتاب ميكالي أماري المترجم إلى العربية بعنوان «تاريخ مسلمي صقلية» (2004)، و«موجز تاريخ العرب في صقلية» (2010) لفارديناندو ماوريشي، و«صقلية والإسلام» (2016) لأنطونيو بللييتاري، و«شعراء صقلية العرب» (2016) لفرانسيسكا ماريا كوراو.

في تأليف كتاب «المسيحيون والمسلمون في إيطاليا خلال القرون الوسطى» مثلت المخطوطات المتأتية من الأديرة والكنائس الإيطالية، لا سيما منها مدوّنة سير الأساقفة والرهبان، العنصر الرئيس في تدبيح الكتاب. صحيح تم الاعتماد على بعض المؤلفات التاريخية الإسلامية المترجمة أثناء الحديث عن الفترة المعنية، مثل كتاب «رحلة ابن جبير» (1979) و«ديوان ابن حمديس» (1998) المترجمين من طرف شيليسيتينو سكياباريللي؛ لكن على العموم جاءت المصادر العربية قليلة العدد ومثلت مرجعية ثانوية. حيث لم يعتمد المؤلف على النصوص التاريخية الإسلامية بشكل مباشر، بل روى ما ورد عنها لدى كتاب آخرين. نشير إلى أنّ المؤلف لا يعرف العربية، كما أنّ اطلاعه على المدوّنة التاريخية العربية بشأن صقلية محدود وضئيل، باستثناء بعض الأعمال المترجمة أو الوارد ذكرها لدى آخرين مثل ميكيلي أماري في «تاريخ مسلمي صقلية». في أحد فصول الكتاب المعنون ب«المسيحيون في المصادر الإسلامية» يحاول المؤرخ لويدجي أندريا بيرتو عرض المنظور الإسلامي، لا يراجع في ذلك أمهات المدونات العربية التي أرخت للفترة، ويكتفي باستحضار مقتطفات مترجمة واردة ضمن مؤلفات غربية.

لا يبدي الكاتب نقداً للقراءة المركزية الأوروبية للتاريخ الإسلامي ذي الصلة بالغرب، بل نراه في العديد من المواضع ينساق إلى ترديد المقولات الرائجة بشأن الفتح الإسلامي. فلا يلمس القارئ نقداً في الكتاب للمقولات التاريخية بشأن الحقبة الإسلامية، بل انسياقاً في ترديد مضامينها واستعادة أحداثها. ومن هذا الجانب لا يمكن عدّ الكتاب إسهاماً أو مسعى إيجابياً لبناء رؤية متسامحة مع الآخر. ثمة مركزية لدى الباحث في استحضار الرؤية الغربية للأحداث لا يقابلها سعيٌّ بالمثل لاستحضار الرؤية العربية، وهو ما يغرق البحث في التحويل على مصدرية مرجعية متماثلة. إذ برغم حساسية الموضوع المتناوّل لا يُبدي المؤلف مراجعة أو تصحيحاً في الشأن.

محاولة الكاتب إعادة بناء الأحداث التي أمتّ بالحضور الإسلامي في إيطاليا بالاعتماد على النصوص الأولية، مثل مجهوداً معتبراً، خصوصاً وأنّ جهداً واضحاً يلمسه القارئ لدى الكاتب في بناء الأحداث، وهي تعرب عن قدرة في الإحاطة بالمصادر، قلّ أن تتوفر لكثير من الباحثين. لعل من هذا الجانب يُعدّ كتاب لويدجي أندريا بيرتو كتاباً متفرداً وقلّ أن ترتقي إليه مؤلفات أخرى حاولت



الأفكار الموازية بين هوسرل وفرويد جان فرانسوا أنيشانسلن

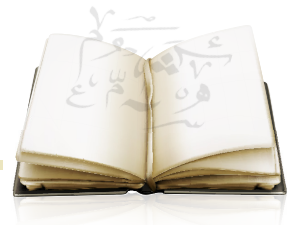
سعيد بوكرامي *

من سارتر إلى ديريدا، مروراً بلاكان أو ريكور، كان المشهد الفكري في القرن العشرين يمزج بالأفكار المثيرة إثر مجابهة خلاقة بين الفينومينولوجيا والتحليل النفسي. وانطلاقاً من هذه الأفكار الموازية والمتقاطعة والمتصادمة للمفكرين والفلاسفة في القرن العشرين حاول المفكر الفرنسي جان فرانسوا أنيشانسلن في كتابه الأخير «الأفكار الموازية بين هوسرل وفرويد» العمل على نسج مقارنة بين هذه الأشكال من الفكر ولكن بطريقة لا تمحو أصالتها وفرادتها، من خلال النظر في مسارات هوسرل وفرويد وتطورهما الفكري وما نتج عنه من تأثير وتوليد للأفكار والنظريات.

ولكن بعد ذلك، لم تتمكن المقارنة من أن تمحو أيضاً الطابع المتفرد للمفكرين؟ واضح أن هدف جان فرانسوا أنيشانسلن هو الدفاع عن الأطروحة العكسية من خلال رصد النقاط المحورية وتحليله مكامن التشعبات النظرية لهوسرل وفرويد. إنطلاقاً من دراسة نهج المؤلف وربطه ب «سياق المعنى» الذي يجمع بين المشكل نفسه، والمعجم نفسه، والزمن نفسه والوقوف عند كل ما هو مهم في هذا السياق، والذي يساهم المؤلف أيضاً في تعديله وفق مواقفه النظرية. تكمن أصالة هذا الكتاب في الحفاظ على متطلبات هذه البؤرة المزدوجة من خلال وضع عدسة مكبرة أحياناً على هوسرل، وأحياناً أخرى على فرويد، من أجل إعادة تشكيل التكوين والتطور «الموازي» بين الفينومينولوجيا والتحليل النفسي بدءاً من المحطات والتحويلات الفريدة لهذين المؤلفين المتشعبين. ومع ذلك، فإن اللجوء إلى النموذج القديم لـ «حياة موازية» الذي ابتدعه بلوتارخ ليس من السهل تحيينه: لأن التأثير لا يكون متوقفاً بالنسبة لمفاهيم التحليل النفسي، التي لم يعتد عليها في تاريخ الفلسفة المعاصرة. لكن التعريف الموازي الصارم لا يعني فقط أن الأعمال لا تجتمع أبداً، لتتلاقى، ولكن أيضاً لأنه قد لا توجد نقاط تقاطع، بما في ذلك تحديد التشعبات الفكرية بين التحليل النفسي والفلسفة ونقط تلاقحها. يعتمد ذلك بالتأكيد على كيفية تحديد «نقط التقاطع» أم لا. وهذا لا ينفي حقيقة وجود مشكلة في بناء منهجية الكتاب: كيف يمكن أن يأت متوازيان من نفس السياق؟ يتعلق الأمر، بالأحرى، ببؤرة أو زاوية تفتح الباب على مصراعيه للنظر إلى (هوسرل وفرويد) وهما يجلسان ويحددان، بين هذين الخطين، سطحاً معيناً تتجلى من جنباته مفاهيمها ودلالاتها في مشتركها ومفترقها وكأنهما يمشيان في نهريين متوازيين ويلتقيان عند مصب المعرفة الفكرية والإنسانية.

الرغم من أنهما ماتا قبل أن يشهدا زلزال الحرب العالمية الثانية ونتائجها المدمرة للإنسان والمكان ومعها ملايين من ضحايا الإجراءات المعادية للإنسانية. كان فرويد وهوسرل، مفكرين متجاورين على الرغم من الاختلافات الواضحة بينهما، ويبدو أن هذه الأفكار الموازية التي نشأت داخل أنساق ثقافية واجتماعية موازية تلتقي عند مشتركات كثيرة، لكن عند محاولة الوقوف عند نقط التلاقي يصبح تقاربهما في كل مرة محكوماً عليه بالفضل أو الغموض أو الإحراج. وبعيداً عن محاولة جعلهما يلتقيان، يسعى هذا الكتاب الحديث، على العكس من ذلك، إلى الكشف عن خصوصياتهما. لهذا يوحي الكتاب اهتماماً خاصاً بالعلاقات التي يمكن تأسيسها بين النصوص المنشورة والكتابات، بكل أنواعها والمركونة في الأرشيف. عندما تتقاطع المسارات، يمكن قراءة كل فكرة من الأفكار المعبر عنها والحياة التي ساهمت في ظهورها. ومن ذلك تظهر علاقة هوسرل وفرويد بالدين، وأهمية لقائهما ببرنتانو أو الأهمية التي تحتلها شخصية وأفكار نيتشه عندهما والتي تتجلى بصورة جديدة في نصوصهما، وكذلك الرابط العرقي، حيث يحضر الأصل العبري بوضوح، والذي تنكره الفينومينولوجيا في حين أن التحليل النفسي يفترضه ويكتفه ويحلل رموزه. بين عامي ١٨٩٠ و ١٩٣٠، شكلت قضية العقل «لحظة» فلسفية جمعت بين الأعمال الفردية مثل أعمال هوسرل أو فرويد. ومع ذلك، فإن حقيقة أن هذين المؤلفين ينتميان إلى اللحظة نفسها لا يسهل بأي حال من الأحوال تحليل تكوينهما الفكري ونظريتهما الفلسفية والنفسية. بل على العكس من ذلك، يمكن للتشابهات أن تشوش عليها. لم ترد هذه الصعوبة في المقالة الأساسية للمؤرخ كوينتين سكينر، الذي فكر بحق في حل الانحرافات المنهجية في عدم تطابق الأعمال في تحليل «سياق المعنى» الخاص بهما.

لطالما كانت العلاقات بين الفلسفة والتحليل النفسي معقدة وصعبة: فرويد لا يثق كثيراً في الفلاسفة الذين كانوا يشككون في مصداقية التحليل النفسي ويفرغونه من محتواه المعرفي، بل إنهم يوجهون انتقادهم لنظرية اللاوعي وحصرها في وجهة نظر الوعي. الفلاسفة، من جانبهم، يفسرون غريزياً التحليل النفسي على أنه تعدد على مجالهم المحجوز، ونشاطهم الفكري، وأشكال تدخله وأعماله، هذا هو السبب في أن التحليل النفسي والفلسفة قد أبقيا بحذر مسافة بينهما، كما لو أنهما قررا بكل معنى الكلمة تجاهل بعضهما البعض. لكن حدث نوع من التقارب مع بداية القرن العشرين، بمبادرة من ممثلين بارزين للتيار الفلسفي الفينومينولوجي والتحليل النفسي. وهذا ما سيركز عليه جان فرانسوا أنيشانسلن إذ سيسلط الضوء على الخلفية الفلسفية الصارمة لعلم الميتال تحليل النفسي الفرويدي، أو الأهمية الأخلاقية، والسياسية للفينومينولوجيا في سياق صعود النازية وما قبلها. وكذلك من خلال علاقتها المتمثلة في اللانتماء إلى الديانة العبرية، وبالتالي الوقوف عند قياس أهمية لقائهما وتأثرهما بفلسفة برنتانو أو شخصية نيتشه، ومن هنا تكمن أهمية الكتاب لأنه يحاول فهم بعض الجوانب المركزية لهذين الشكلين من أشكال التفكير الاستباقي والجذري والخلاق. في عام ١٩٠٠، ظهرت الفينومينولوجيا وكذلك ظهر التحليل النفسي في الساحة الفكرية في الفترة نفسها. وخلال أربعين عاماً، طور هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨) وفرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) بمثابة مذهلة أشكال التفكير التي عكفا على إنجازها، تاركين وراءهما منجزاً فكرياً ملفتاً وعظيماً. يبدو أن نصوصهما الأخيرة، التي حللت الأزمات والعلل النفسية وأشكال التفكير في الظواهر قد أثرت على الثقافة الغربية، وبرهنت على رؤيتهما الفكرية السابقة لأوانها والمستشرقة للمستقبل، على



تحظى بشعبية كبيرة في ألمانيا بعد وفاة هيجل. من خلال الانتباه إلى التاريخ الذاتي للشخص (تأمل الذات بشكل مرآوي) يريد هوسرل التفكير في التقليد الفلسفي برمته، وهنا يبين جان فرانسوا في تحليله الصلة بين السيرة الذاتية والفلسفة، دون أن تسحق الأولى الثانية وتغمرها أهميتها. في هذا السياق يستطيع هوسرل أن يفسر نزعه كفيلسوف ومهمة الفلسفة في القرن العشرين (ص ١٧١-٢٠٥). إن استراتيجية تجنب فرويد لينتشره معروفة جيدا باستثناء اللحظة التي جعله فيها «حالة» عبقرية يجب أن تحلل من وجهة «علم النفس المرضي» (ص ٢٠٧-٢٤٣).

في النهاية يبرز عمل جان فرانسوا أنيشانسلن بشكل معمق القيمة الاستكشافية بالنسبة لمؤرخ الفلسفة ورهان تبئير ذهنيتين متوازيتين تارة ومختلفتين تارة أخرى وبين ما يمكن مقارنته وما يتعدى مقارنته وما بين النظري والسيرداتي والخلفية السياقية التي يمكن أن يبرز فيها الشكل الأصلي للفكر. إنها بلا ريب، طريقة مثيرة للاهتمام لنزع فتيل القراءات الأسطورية للشخصيات الفلسفية، مع إحداث قطعة جذرية مع المعجم الغامض «لسلطة الأثر». ومع ذلك، إذا كان غياب اللقاء بين هوسرل وفرويد يلقي ضوءا جديدا عن تجربتهما الفكرية المهمة الموازية في بعض السياقات والمقاطع في سياقات أخرى إلا أن علاقتهما الخاصة بالفلسفة والرهانات الفلسفية لعصر معين عاشا تحت تأثير مناخه الثقالي الغائم ونتائج المدهشة حد العبقرية والمرعبة وحد الجنون، فهذا ليس هو الحال مع فهم محاولات المواجهة واللقاء التي تتشكل أحيانا بين الظواهر والتحليل النفسي، وفقا للعبة التحولات المتبادلة في الممارسة العلاجية وعلم النفس المرضي، التي تكون أحيانا موضع استياء من طرف الكثير من الفلاسفة وعلماء التحليل النفسي. وعند هذه النقطة الدقيقة، يتحول تاريخ الفلسفة إلى تاريخ للأفكار التي تشبه في توازيها وتشعبها وتضاربها وتصادمها وقطائعها التاريخ الاجتماعي والثقافي للإنسان.

• الكتاب: الأفكار الموازية بين هوسرل وفرويد

• المؤلف: جان فرانسوا أنيشانسلن

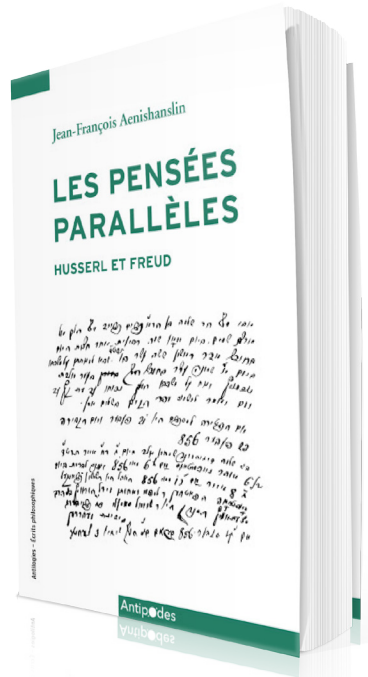
• الناشر: أنتيبود. السلسلة الفلسفية. لوزان، سويسرا

• سنة النشر: 2019

• اللغة: الفرنسية

• عدد الصفحات: 260 صفحة

* كاتب مغربي



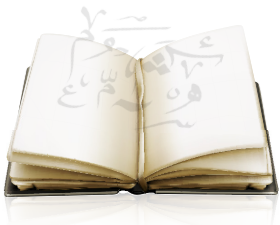
حيث « فلسفة القيم» تشكل المناقشات والنزاعات حول « الحياة» المثالية لأجل قيادة البشرية في عالم ماتت فيه القيم. كان الرجلان يفكران باهتمام كبير في الوصف وضد الضرورة القسوى إلى الوراثة وبمفهوم جديد للحكم؛ إذ كانت أطروحتهما مستتبطة من نفس النبع: نبع الفلسفة العملية ورائدها فرانز بيرناتو المتخصص في الفلسفة الأرسطية والسكولاستية. وبذلك برزت أفكارهما كبوتقة لجينالوجيا أخلاقية تبحث وتنحت مفاهيمها من أهمية الجانب « العاطفي». بالنسبة لهوسرل فإنه المعيار الوحيد للشرعية التي تتقاطع مع الفلسفة الأخلاقية اللاهوتية. (ص ٩١-١١٨) لكن بالنسبة لفرويد فهو بالتأكيد الأصل الوحيد لأخلاقنا المتحضرة. لكن نقطة التشعب هنا هي مسألة الجنون (ص ١٤١) لأن العاطفة هي الأداة الاستراتيجية لإثبات وجود (الإدراك الداخلي) بدون وعي واضح به، ويقصد حكما أساسيا لا تتم صياغته باللغة. هناك عناصر أصلية لميتال تحليل النفسي الفرويدية، الذي كان يرى في الأصول التي لا يمكن ملاحظتها وإدراكها دينامية مصيرية لتمثيلات الإنسان تجاه نفسه والعالم (ص ١١٩-١٦٨).

يخصص القسم الثالث لمعالجة القلق والعلل في الثقافة « العدمية» ومكانة نيتشه في أعمال هوسرل وفرويد وإلى ما أبعد من الأمكنة المشتركة للنقد الحضاري وتشخيصه لعل المرحلة. على الرغم من أن هذا الأمر قد يبدو غير بديهي، إلا أن هوسرل لا يفلت من هذا الخطاب الذي يمكن تحديده في محاضرة أو رسالة ترتبط بخطاب قديم يعود تاريخه إلى نهاية القرن الثامن عشر (في فرنسا على الأقل) ونعني به النقد التأملي أو الأنظمة التأملية التي

بالتوافق مع هذا الهدف المنهجي الذي سعى إلى تحقيقه جان فرانسوا أنيشانسلن، ويتضمن طريقة معيارية لتضمين أوسع لنصوص ومفاهيم هوسرل وفرويد. في الواقع، تتضمن «الأوراق الصغيرة» (ص ٣١) المأخوذة في أغلب الأحيان من الأرشيف (مثل القراءات أو الدورات أو الندوات الصغيرة أو المراسلات أو المسودات، إلخ). فإذا كانت منهجية التحليل لفكرهما تحاول إعادة تحديد «نقاط التحول» الرئيسية في عمل واحد، فإن التحليل الدقيق هنا يتألف من تحديد أماكن المعابر النظرية وتشعبات المفاهيم، في محاولة لاستعادة التفكير في «حيوات» المؤلفين القادمين من نمط الحياة نفسها التي أتاحت لهما توليد «ألعاب لغة» جديدة وبالتالي «أشكال حياة» جديدة وفريدة من نوعها (ص ٢٤٥).

وفي هذا الإطار حاول المؤلف تحديد هذه المشكلة الأنثروبولوجية التي تسعى إلى وحدة الفكر وتنوعه غير القابل للاختزال المرتبط بديناميته التطورية، بدءا بتأثره بالمنهج النفسي، ثم انتقاله إلى تأسيس أطروحته الفلسفية حول قواعد الظواهر. لهذا اختار جان فرانسوا أنيشانسلن ثلاث قضايا فلسفية لتحديد الاختلافات في أشكال التفكير اعتمادا على الخلفية التاريخية نفسها: الدين والأخلاق والثقافة. يحلل القسم الأول المعالجة الفردية لإيمان رجلين فيما يتعلق بصياغة قضية مزدوجة: المثل الأعلى للعلمية ويهوديتهما. فقد كان يرغب كل من هوسرل وفرويد بشدة في تحقيق هذا المثل الأعلى، مع إبعاد أصلهما. ضمن الدائرة الأولى للحركة الفينومولوجية، التي تميزت بسلسلة من التحولات إلى الكاثوليكية، يقول هوسرل كيف يمكن العثور على السمو حتى في صميم التفكير في المنطق والمثاليات الرياضية. إنها طريقة لتحديد «نقطة تحول علم اللاهوت» في الفينومينولوجيا قبل نشأتها الفرنسية بعد الحرب (ص ٢٥-٦٠)، على الرغم من أن هذا الرابط بين الرياضيات واللاهوت هو أمر شائع في الفلسفة الحديثة. وفي حركة التحليل النفسي، وفي أعقاب أطروحات لودفيج فيورباخ، تصبح العقلانية انتقادا للحداثة. في هذا السياق، لا تعمل اليهودية فقط كموقف تحليلي مميز للحكم على الحقائق الثقافية، ولكن أيضا كتغيير منهجي أو أنثروبولوجي للفلسفة، يتميز بجذوره الضاربة في تربة التراث اليوناني (ص ٦١-٨٧).

أما القسم الثاني فيعالج مفهوم الأخلاق على ضوء الفينومينولوجيا والتحليل النفسي. السؤال هو معرفة ما إذا كان الوصف شرطا أساسيا وكافيا أو أن الوراثة تكمل السيرورة النهائية، أو تقوم مقامه بالكامل. إن «علم الأخلاق» هو في الواقع رهان قطعي داخل وضع فلسفي



أخلاق نيتشه توماس ستيرن

علي الرواحي *

يدرك الراغب في الكتابة عن الفيلسوف الألماني نيتشه بأنه يواجه الكثير من التحديات المختلفة، وربما أهمها: أسلوبه في الكتابة الذي يشبه الرمال المتحركة، كما أن كتاباته من الجانب الثاني تتسم بأنها غزيرة، مشتتة، متنوعة، جذابة ومنفردة في نفس الوقت، مألوفة وغير مألوفة في العمل الواحد. في حين يأتي التحدي الثاني من العدد اللانهائي والكبير من الإحالات، والحواشي، أو المواضع والمصادر التي لا يتم الإحالة إليها، ولا الأشخاص، وهو ما يُشكل صعوبة كبيرة في التتبع والفهم. كما أن التحدي الثالث - حسب المؤلف - والذي يشكل أكبر التحديات في قراءة نيتشه يكمن في عدم معرفة الأفكار المسبقة، والتحيزات، والآمال، والأحلام، أو المدارس التأويلية التي يأتي بها القارئ عند اطلاعه على أعمال نيتشه، بما في ذلك أيضا العداوات المتوقعة معه، والتي من الممكن معرفتها من خلال المؤلفات التي كتبت عنه، مثل: نيتشه والنازية في عام ١٩٩٢م، أو نيتشه والمشكلة اليهودية: بين معاداة السامية ومعاداة اليهودية في عام ٢٠١٦م، وغيرها الكثير من الأعمال التي تصدر بالكثير من اللغات الحية، والنشطة.

فمن الأخلاقي تعزيز أهداف الحياة، ومن غير الأخلاقي إعاقة هذه الأهداف، كما يقول نيتشه، وهذا يتقاطع إلى حد كبير مع وجهة نظر فيلسوف التشاؤم الألماني شوبنهاور، الذي يرى - حسب المؤلف - بأن الإرادة الفردية تتجسد في الجماعة عن طريق الرغبة في الحياة، وتعزيزها بالبحث عن منافعها المختلفة. غير أن وجهة النظر الأخرى التي تنطلق من شوبنهاور بالتوافق مع نيتشه، تذهب إلى أن منافع الحياة، والمنافع الشخصية ليست بالضرورة تتفق مع بعضها، أو متحالفة، فمن الممكن أن رغبة الحياة تعادي أو لا تتفق مع المصلحة الشخصية، كما هو الحال في رغبة استمرارية الجنس البشري وذلك عن طريق الرغبة الجنسية التي تؤدي بدورها إلى إنجاب الأطفال.

فيما يتعلق بالأخلاق المسيحية التي تبدو مركزية في هذا السياق، كما هو واضح من خلال رؤية نيتشه، فإنه يعتبرها غير أخلاقية، وبأنها مضادة للحياة.

يتطرق المؤلف لاحقا إلى مسألة مهمة جدا في طرح نيتشه عن الأخلاق، وتحديدًا من خلال كتابه الأهم وهو أصل الأخلاق أو جينولوجيا الأخلاق، وهو التفريق الحيوي، والحاسم، بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد، حيث يعتبر أن للجانبين أمثلة تاريخية تتوفر في الكثير من السياقات التاريخية، القديمة والمعاصرة؛ إذ تشير أخلاق السادة إلى موافقتهم على الجيد والاتفاق عليه. في حين، أن العبيد يقولون بنفس المبدأ، غير أن الأولوية هنا لأخلاق السادة، وهو لا يشير من قريب أو بعيد إلى الجانب العرقي، أو العنصري للأخلاق. ومن الممكن ملاحظة هذا الصراع في عالمنا المعاصر، من خلال اللغة، وأصول الكلمات، وتحديدًا من خلال الكثير من الألفاظ في اللغة الألمانية التي تعتبر لغته الأم، والأساسية، وهو ينطبق إلى حد كبير على اللغة الإنجليزية. فاللفظ «جيد» له مضادان: السيء، والشر. فالخير الذي يرتبط مع الجيد، يختلف عن الخير الذي يرتبط مع الشر؛ حيث

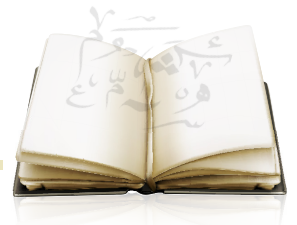
للنقد، والتحليل، لما تمثله من سيطرة، وهيمنة كبيرتين في أوروبا المعاصرة، كما أن أتباع الأخلاق المسيحية ليسوا بالضرورة مؤمنين بالمسيحية، وهذه النقطة تمثل دعامة مهمة في الأعمال النيتشوية المتأخرة. في حين أن أخلاق نيتشه أو القيم اللتين يتم استخدامها بشكل مترادف في الكثير من الأعمال الفلسفية كما هو الحال لدى نيتشه، ذلك أنه يؤكد وبشكل متكرر بأن القيم المسيحية ليست أخلاقية، لكنه لم يفكر بشكل عام خارج الأفق المسيحي.

ولفهم ذلك، نجد توافقًا بين الجانب الوصفي والجانب المعياري لهذا الموضوع، حيث أن الجانب الوصفي يقوم على التركيز على حياة النظرية، أو الجوانب التي جعلت نيتشه يذهب بهذا الاتجاه من التفكير، وذلك لما وجدته من رغبة كبيرة لدى الكائنات بشكل عام بما فيها البشرية وغيرها، بالتحكم والسيطرة، وزيادتها مهما كان عدد التابعين أو المرؤوسين لهم. ولأجل ذلك من الممكن تدمير الموارد، والبشر، واستغلالهم، حيث أنه لا يُنكر وجود تعاون بين البشر لكنه يراه بأنه أداة للسيطرة والاستغلال، وليس لمكافحة. فالبحث عن السيطرة والجري الدائم خلفها كما يرى نيتشه، لا تقتصر فقط على أسلوب الحياة المعتاد، أو السلوكيات اليومية، فهو يعتبره طبيعياً بيولوجياً أو حيوية، لأن الحياة والبحث عن السيطرة لا يمكن الفصل بينهما، أو تجزئتهما. وبتعبير آخر، يستخدم نيتشه عند الحديث عن البحث عن السيطرة تعابير مثل: الحياة، والطبيعة، والإرادة، أو رغبة الحياة، أو الرغبة في السيطرة، وذلك للإشارة إلى أن هذه الرغبة متأصلة في الواقع الإنساني بشكل لا مفر منه، فرغبة الحياة بهذا المعنى تحكم أو تتحكم في كل الحياة.

غير أن هذه النظرية، قد تبدو غريبة على القارئ المعاصر الذي يبحث عن الدليل، ويوجه الكثير من الأسئلة من قبيل: ما هو نوع القوة التي نتحدث عنها، وما الآليات التي تُنشطها؟ وما أهداف هذه الحياة؟ ومقاصدها؟

بالإضافة لذلك، يُركز هذا العمل وبشكل محدد على أعماله الأخيرة، وتحديدًا من ١٨٨٦م إلى توقفه عن الكتابة عام ١٨٨٩م، وبشكل خاص على الأعمال التالية، (ما وراء الخير والشر)، و(أصل الأخلاق)، و(قضية فاغنر)، و(غسق الأوثان)، و(نقيض المسيح). حيث يأتي التركيز أولاً على هذه الأعمال المتأخرة تحديداً بسبب التأثير المعاصر والكبير لهذه الأعمال حالياً وبشكل خاص في الدوائر والأوساط الناطقة باللغة الإنجليزية، وتحديدًا لكتاب أصل الأخلاق الذي ينبغي أخذه كنموذج بارز من أعماله، مع الأخذ بالحسبان عدم عزله عن البقية؛ حيث نجد أنه قد خصص وقتاً كبيراً لهذا العمل، كما أنه ولسنوات طويلة استمر في إطلاق الوعود في كتاباته السابقة بأنه بصدد كتابة أروع الأعمال وأكثرها أهمية، وهذا بالفعل ما حصل معه في هذا العمل. ثانياً، ترتبط أعماله الأخيرة بشكل ضمني أحياناً، وواضح أحياناً أخرى، بأعماله الأولى والمُبكرة، التي تراعى إلى حد كبير المشروع الأخلاقي له. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الأعمال المبكرة لا تتمتع بأفضلية على أعماله الأخيرة، فالأعمال الأولى كانت خصبة، وموحية، لكنها كانت أقل وضوحاً من المتأخرة. علاوة على ذلك، يعود السبب الرئيسي للاهتمام بالأعمال المتأخرة إلى سؤال المنهج، حيث أن الجوانب الأخلاقية عند نيتشه قد اتضحت إلى حد كبير في أعماله الأخيرة، الأمر الذي جعل تأويل هذه الأعمال أقل تنافراً مقارنة مع الأعمال السابقة.

ولتكوين فكرة واضحة عن أخلاق نيتشه، فإنه من الضروري تحديد المفاهيم بشكل كبير، مثل مفهوم الأخلاق بشكل عام، والأخلاق المسيحية، وأخلاق نيتشه بشكل محدد. حيث تشير الأولى إلى أنظمة قيمية، تنتمي لمجموعة من البشر في مسار تاريخي معين، نشأت لأسباب اجتماعية مختلفة من الممكن أن تكون محل دراسة لعلم الاجتماع. في حين أن الأخلاق المسيحية تعتبر نموذجاً هاماً في الأعمال النيتشوية كهدف



هذا المظهر التُنسكي لا يقتصر فقط على الكُهان، بل يمتد ليشمل الفيلسوف أيضا، فهو المُحمَل برؤيته الناقية للعالم، والمضادة له، بل والمنعزلة عن مجرياتها التي تجري في واد والحياة في واد آخر، الأمر الذي جعل الفلسفة لفترة طويلة لم تكن ممكنة دون هذا النقب، أو الكساء التُنسكي، الذي عن طريقه واصلت الانتشار بشكل غير مرئي، بعيدا عن الإشهار والانفعالات التي تحدث أو يتم ترتيبها للمجالات الأخرى. تظهر أهمية المثل التُنسكي التي يتطرق إليها نيتشه، من خلال الانقلاب الذي حدث للموسيقى الألماني ريتشارد فاغنر والذي كتب فيه كتاب ينتقده فيه بعدما كان يعتبر المُخلص، والأمل، وبشكل خاص في كتابه مولد التراجيديا، حيث يرى نيتشه بأنه انقلب رأسا إلى ضده، فبعد أن كان يُمثل التجسيد الحقيقي والفعلي لإرادة الحياة، وذلك من خلال الموسيقى التي حسب نيتشه تُعبر عن قوة الحياة، وعمقها، أصبح بعد ذلك يتغنى بالعبث والطهارة والزهد، وتحديدًا بعدما بلغ من الكبر عتيا، وفي أواخر حياته.

في خاتمة هذا العمل، يطرح المؤلف سؤالًا حول مستقبل الأخلاق حسب التصور الذي وضعه نيتشه، بكل تفاصيله المتعددة في أعماله المختلفة، حيث إنها تحتوي على عناصر كثيرة، منها: الأخلاق الأرسطية الطبيعية، وهي تلك التي تستحضر رغبة البحث عن الحياة أو عن السلطة، فهي تحت الجميع على البقاء والاستمرار بشكل طبيعي، فالجيد هنا هو الذي ترك الأوضاع كما هي. في حين أن الجانب الثاني، ينظر للأخلاق من الناحية التطورية التي يعتبرها البعض مغايرة عن الداروينية، فهي تسعى لمنحنا تفسيرًا حول علاقة الأخلاق بالتاريخ، وهو ما نستطيع اكتشافه بأن طريقة التصرف أو السلوكيات ليست أبدية، بل خاضعة لمنطق السياقات الاجتماعية المختلفة، والتي من خلالها تتماشى مع العصر والظروف. كما أن الجانب الثالث، ينظر إلى الأخلاق من الناحية الجينولوجية والتي طبقها على الكثير من أفاضل الكلمات التي تجعل الكثير من الرؤى المختلفة تتوافق، وتتلائم مع الأوضاع القائمة، كما ينبغي الأخذ بالحسبان بأن هناك جهات نظر مختلفة عن ذات الموضوع الأخلاقي الشائك.

• الكتاب: أخلاق نيتشه

• المؤلف: توماس ستيرن

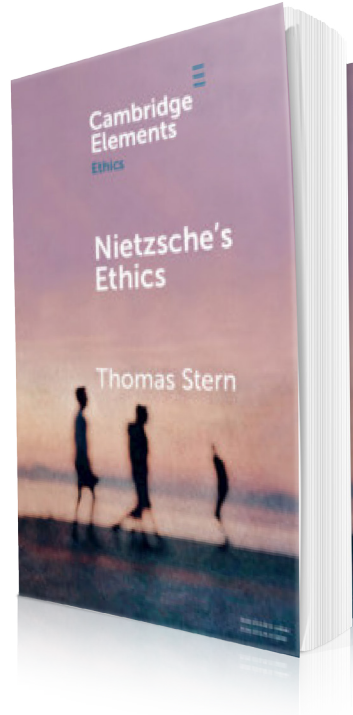
• الناشر: منشورات جامعة كامبريدج،

2020م.

• عدد الصفحات: 78

• لغة الكتاب: الإنجليزية

* كاتب عُماني



وعدم مؤازرته. وهو ما يجعلنا نُميز بين نمطين من الأخلاق شدد عليهما نيتشه، وهما: أخلاق الإنسانية الطبيعية قبل هذا التمييز اللفظي، والتراتبى، وبين أخلاق الإنسانية التي سنتها جماعة معينة، وفئة محددة، لتسير شؤونها اليومية، ثم سُرعان ما انتشرت بسبب الهيمنة الاجتماعية، والقيمية، والاقتصادية العميقة بين البشر. وهذا ينطبق أيضا على مفاهيم أو قيم مثل الشفقة، التي يراها نيتشه بأنها تحتاج مثل الكثير من القيم المتداولة، والسائدة، أن توضع موضع سؤال عميق، الأمر الذي يعني العودة إلى ظروف، وسياقات نشأتها، وظهورها في اللغات والسياقات الاجتماعية المختلفة، حيث تزعزت من خلال المراحل الزمنية المختلفة، بوصفها قناعا، أو نفاقا، أو عبودية، أو تبعية لعدد كبير، ولا نهائي لأشخاص، ورموز، ومفاهيم بالية.

بالإضافة لذلك، نجد أن قيمة الزهد أو التمسك والتي تُعتبر من المحاور المهمة في أفق تفكير نيتشه، لاقت الكثير من النقد العميق، فهي تعني عدم الرغبة في الحياة، أو الإعراض عنها، الأمر الذي أدى إلى انتصارها، وشيوعها في الكثير من الطبقات على اختلافها، وتنوعها، وهو ما نجده ماثلا في الجزء الثالث من هذا العمل، ذلك أن هذه القيمة تتنافى مع المسار الطبيعي للحياة، فهي تُقوض الإرادة البشرية في التفوق، والبحث، ورغبة الحياة. ذلك أن التمسك إنما «يتوكل» على العصا» كما يقول نيتشه، وفي ذلك إشارة إلى الاتكال على الآخرين، شأنه في ذلك مثل الفلسفة في بداياتها الأولى، حيث أن هذه الأخيرة كما يقول نيتشه في بداياتها لا تملك الشجاعة على أن تكون ذاتها، تظل دوما تُحدّق من حولها ما إذا كان أحد يريد أن يمد لها يد العون، غير أنها سُرعان ما تتخلص من هذا الاتكال لتستقل بذاتها في رؤاها وتصوراتها المختلفة، وفي أحكامها بدرجة موازية.

أن هذا الارتباط ليس مصادفة، أو اعتباطيا. فعلى سبيل المثال، عندما نقول - والمثال للمؤلف - بأن لديك كلبا جيدا، أو عندما نقول بأن هذا القطار وسيلة جيدة للوصول إلى المطار، ففي الحالتين هناك تقييم، ونقيضهما يُشير إلى السوء، وهذا قبل التقييم، أو الحكم من الناحية الأخلاقية. غير أنه فيما يتعلق بالبشر، وعندما نقول بأن فعلا ما «جيد»، أو شخصا ما «جيد»، فإنك تفكر مباشرة بأن الشر هو المقابل لهما، وهو ما لا ينطبق على القطار.

ما يخبرنا به نيتشه هو أن السادة أكثر ثراء، وأكثر قوة، وبسبب ذلك نجدهم يصلون إلى الموارد بشكل أسرع، ويسيطرون عليها. في المقابل، فإن العبيد هم الأفقر، العمال، والمرضى. ولذلك يطرح سؤالًا مهما، حول ما هي القيم التي يتم التعبير عنها من قبل الطرفين؟ فلدَى السادة نجد أن الجيد يعني أن تكون مثلهم: أقوى، وأكثر سيطرة، وأكثر صحة، في حين أن المقابل لذلك يُعتبر سيئا. في هذا السياق، يقدم نيتشه ما يشبه المرافعة الايتولوجية أو العودة لأصول الكلمات، حيث يعود إلى أصل كلمة «جيد» لدى الإغريق، التي تبدو قريبة من السلطة، أو مزخرفة بها، كالثروة مثلا، في حين أن كلمة «سيء» كانت تعني موقفا محايدا، فارغا، أو عاديا، وذلك قبل أن تصبح لفظة محترقة.

من المهم هنا الأخذ بالحسبان، طريقة تقييم السادة، لأنها تختلف بشكل ملحوظ عن تقييم العبيد من جهة، والأخلاق المسيحية من الجهة الأخرى. حيث أن الكثير من الأشخاص يعتبرون تفوق السادة أمرا بديهيا، ولذلك لا نحتاج لنظرية توضح أسباب لماذا هم أفضل من غيرهم، أو أصحاء، أو أكثر قوة، وثراء. فعندما يخرج المرء من أخلاق العبيد، أو يتمرد عليها، فإنه في الكثير من الأحيان يشعر بأنه في المكان الخطأ، وفي الوقت الخطأ، وبطبيعة الحال فإنه ليس من الجيد أن يكون المرء ضمن هذا التصنيف، كما أن السيد - والتعبير لنيتشه والمؤلف - لا يحتاج للكثير من الحجج، والتبريرات ليخرجه من هذه المكانة التي بطبيعة الحال ليست عرقية، بقدر ما هي فكرية في المقام الأول. وبحسب نيتشه، فإن الثورة في الأخلاق تحدث عندما يتم تغيير الكثير من استخدام المفردات المتفق عليها، والتي تستخدم بشكل بديهي، وطبيعي جدا في السياقات الاجتماعية المختلفة.

يحتاج نيتشه في هذا السياق، بأن ثورة العبيد الأخلاقية قد حدثت لدى اليهود منذ الآف السنين، إبان السيطرة الرومانية.

لا يسلم الكُهان والنبلاء من النقد النيتشوي العميق في العمل المحوري حول جينولوجيا الأخلاق، حيث إنهم وبشكل أساسي وضعوا كل أفعالهم، وأقوالهم، كمييار لا ينبغي الخروج عنه، أو تجاوزه، فهم المعيار، أو فوق المعايير التي تصلح للرعاع، والعامّة، والدماء من البشر، في حين أن قيامهم بنفس الفعل الذي تقوم به الطبقات الأخرى من البشر يعتبر في الكثير من الأحيان، مستهجنًا، حقيرا، بل ومرفوضا يجب إيقافه،



المجلد الثالث عشر من الموسوعة الإسلامية (المحرر التنفيذي د. عبد الحليم)

فيرا بوراتو عبد الكبير *

من أعرق دور النشر الإسلامية في كيرالا «دار النشر الإسلامي» التي تحتفل حالياً ببوبيلها البلاطيني حيث أتت إلى حيز الوجود عام ١٩٤٥، وقد صدر عنها عدد كبير من أمهات الكتب الإسلامية بما فيها تفاسير القرآن الكريم وترجمة الصحاح من الأحاديث النبوية والشريعة الإسلامية والفقهاء الإسلامي، إضافة إلى كتب تتناول موضوعات جادة حديثة في مجال العلوم الاجتماعية. الدوائر العلمية والأكاديمية في كيرالا تعتبرها مرجعاً موثقاً به في الموضوعات الإسلامية. وخلال السنوات الماضية حصلت الدار على عدد من الجوائز القيمة من الدوائر الحكومية والمنتديات الثقافية منها جائزة «أجمل المطبوعات» في عام ١٩٨٤ عن ترجمة كتاب «الطريق إلى مكة» للكاتب النمساوي الشهير محمد أسد، وذلك من اللجنة الاستشارية لتطوير إخراج الكتب التابعة لحكومة كيرالا، وكذلك جائزة «جودة الإخراج والطباعة» التي حصل عليها الجزء التاسع من الموسوعة الإسلامية، ومنحتها جامعة ماهاتما غاندي بكونايام وجائزة «سي. أن. أحمد المولوي» التي حصل عليها مشروع الموسوعة الإسلامية.

داخل العالم الإسلامي وخارجه وقائمة بأسماء أماكن تاريخية ودراسات سياسية وثقافية وأنتروبولوجية وأنتوجرافية. والدراسة الشاملة والدقيقة عن تركيا، القوة العظمى في الشرق الأوسط، ميزة يجدر ذكرها لهذا المجلد. تبدأ المعلومات عنها من الصفحة ٢٣٦ وتنتهي في الصفحة ٢٥٤ شاملة عدة جوانبها من اشتقاق اسمها وجغرافيتها وتاريخها القديم وحالاتها السياسية والاقتصادية والثقافية، القديمة منها والحديثة، التي تمتد إلى عهد الرئيس الحالي اردوغان. التفاصيل من تاريخ سياستها التي تبدأ من «تغريق» تركيا وتنتهي بتشكيل حزب العدالة والتنمية مثيرة لاهتمام القراء ومكتوبة بأسلوب جذاب. وثلثي فيه أوروبية النماذج الجميلة من فنون المعمار الحضاري الإسلامي مثل مسجد آيا صوفيا ومسجد السلطان أحمد وقصر التوب كايا ومدينة اسطنبول مع تفاصيلها المعرفية.

ومن العناوين البارزة في هذا المجلد تونس من شمال إفريقيا التي هبت منها رياح الربيع العربي وطاجكستان من الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وتركمانستان وداغستان اللتان تتمتعان بالحكم الذاتي في آسيا الوسطى. ونقرأ فيه أيضاً أوضاع الأقلية المسلمة في تايلاند وتاييفان وتيب و جنوب إفريقيا (تيكيه أفريقيا) في الحروف الملايالية) كما يمكننا التعرف على ثروة تراث المسلمين وجماعاتهم السياسية والثقافية في تاشقند وتغلس وتبرس وترمد وتركستان وت(ط)هران وطنطا وطبرستان والطائف وطوس ودماج والدماغ ودربند ودار السلام ودارفور ودلهي. وتحت عنوان دماج توجد معلومات كافية عن الحركة السلفية الدماجية

الأكاديمية شهادة الأديب الناقد في اللغة الملايالية أم. أن. كاراشيري» (اسمه الحقيقي محي الدين، يصف نفسه «لأدرياً» رغم أنه مولود في أسرة مسلمة). خلال محادثة شخصية قال المذكور مرة لهذا الكاتب أنه قد اقتنى جميع مجلداتها لأنها لم تخيب أمله عند مراجعة أي موضوع فيها بل وجد فيها معلومات ثرية في كل موضوع بحث عنه.

يقول الناشرون إن الهدف وراء سلسلة هذه الكتب الضخمة إزالة الشبهات حول الإسلام لكي تكون مرجعاً شاملاً موثقاً به لجميع الباحثين عن الإسلام وأداة مهمة لنشر تعاليم الإسلام السحاء ومصدر معلومات ثقافية يحفظها للأجيال القادمة. وهذا ليست مجرد ادعاء، فجميع المجلدات التي صدرت حتى الآن خير دليل على ذلك. وأكد عليه أيضاً المخرج السينمائي المشهور دوليا «أدور جويالا كريشنان» حين قام بتدشين المجلد الثالث عشر من الموسوعة في تيروفانانتابور عاصمة كيرالا كما أشاد به د. كارتانان مدير معهد اللغات الحكومي الذي أعرب عن توقعاته في حفلة التدشين أن هذه الموسوعة ستساعد غير المسلمين على تصحيح مفاهيمهم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، وخلال خطابه في الحفلة تقدم أيضاً بشراء المجلد الثالث عشر لمعهد.

المجلد الثالث عشر من الموسوعة يتضمن عناوين تبدأ بحرف «التاء» في اللغة الملايالية كما تحتوي حرف «الطاء» وأوائل حرف «الدال». أما العناوين المتبقية بحرف «الدال» فستتبع في المجلد الرابع عشر. وتحت حرف «التاء» نجد موضوعات متنوعة من تاريخ أقوام

ومن أهم مشروعاتها (الموسوعة الإسلامية الشاملة) التي بدأ نشرها عام ١٩٩٥م باللغة الملايالية. وفكرة إخراج موسوعة مثل هذه خطرت على بال المشرفين على الدار في أوائل سبعينيات القرن الماضي. ولكنها لم تصل إلى مرحلة التنفيذ إلا في وسط الثمانينيات حين شنت الحركات الإلحادية والشيوعية حملة شعواء ضد الشريعة الإسلامية وقوانينها عام ١٩٨٥م. وجرت آنذاك حوارات ومناقشات ساخنة بين المسلمين وخصومهم حول قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند مما ظهر من خلالها جهل الخصوم، وفيهم بعض أبناء المسلمين، بمبادئ الإسلام وشرائعه. ومن هنا تأكدت على القائمين على هذه الدار ضرورة إصدار مؤلف جامع يكون مرجعاً موثقاً به للعلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها وتعدد مداخلها، وتجرات الدار على تبني هذا المشروع الضخم رغم تكاليفه الباهظة ومحدودية موارد المال للدار. تم تدشين الجزء الأول من الموسوعة هذه بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٩٥ بمناسبة احتفال المهرجان الذهبي للدار الذي استغرق ستة أيام وشارك فيه عدد كبير من العلماء والمفكرين ورجال السياسة والتربية والتعليم والدعوة والإرشاد من داخل الهند وخارجها. ويتضمن الجزء الأول المبدوء بحرف «أ» باللغة الملايالية ألف صفحة ويبلغ مجموع عناوينها نحو ستة آلاف عنوان. على هذا المنوال تم إخراج المجلدات التالية بنفس الحجم. وجدير بالذكر أن هذه الموسوعة هي الأولى من نوعها في كيرالا حتى في نطاق الهند عموماً حيث لم تهتم أي دار نشر بإصدار دائرة معارف إسلامية مثلها حتى الآن. ويكفي ثبوتنا للثقة التي نالتها هذه الموسوعة في المحافل



الاحتلال البرتغالية، وهو من أقدم المصادر التاريخية الذي يشرح فيه دخول الإسلام وانتشاره في كيرالا. وهناك كتب أخرى في موضوعات متنوعة مثل دائرة المعارف لبطرس البستاني والطواسين للحلاج وتحفة الأحمدي في شرح جامعة الترمذي والتحفة الوردية في قواعد النحو والصرف الذي ألفه ابن الوردية منظومة وتاج العروس شرح قاموس المحيط. وتنضم إلى هذه المجموعة تزك بابري وتزك جهانغيري السيرة الذاتية لكل من ملكي بابري وجهانغيري من الملوك المغوليين، وكتاب تراهة للأديب الباكستاني نعيم الصديقي.

وهذا المجلد أيضا كالمجلدات السابقة مزدان بصور ضوئية متعددة الألوان وفوتوغرافيات نادرة وخرائط جغرافية ورسومات بيانية في أوراق براقية. صورة تاج محل التي تتجاوز صفحتين وصورة جسر الغاري القديم في طشقند وصورة مسجد آيا صوفيا في إسطنبول وصورة متحف مولانا في تركيا وصورة دار الآثار في مصر كلها جميلة جدا تجذب القراء إلى معرفة خلفياتها، ولو كان لها جدول بياني خاص لكان أكثر مساعدة للمراجعين. الموسوعات تعتبر عموما مراجع فقط، فهي طبعا ليست كالروايات وكتب التاريخ التي يكمل القراء قراءتها، ولكن في هذا المجلد عناوين لها مذاق الرواية والحكايات تدفع المراجعين لقراءتها إلى آخر حروفها في جلسة واحدة.

ومما يستحق الثناء المنهج الذي اتبعه مسؤولو مشروع هذه الموسوعة في اختيار العناوين وصياغتها، وهو منهج استيعاب وإدناء ليس منهج إقصاء. نقرأ في صفحاتها الحركات السياسية والشخصيات الأدبية مثل أدونس بنفس الاهتمام الذي تتمتع به الحركات الإسلامية والعلماء الدينيون. والكتاب كبير مُنْذِلٌ بقائمة بمراجع في اللغة العربية والإنجليزية والأردية والملايالية بالإضافة إلى فهرس 1200 عنوان في الشكل الأبجدي، وهذا يزيد موثوقية الموسوعة ويساعد الباحثين للبحث عن الموضوع المطلوب.

• الكتاب: الموسوعة الإسلامية المجلد

الثالث عشر

• تأليف: مجموعة من الكتاب برئاسة

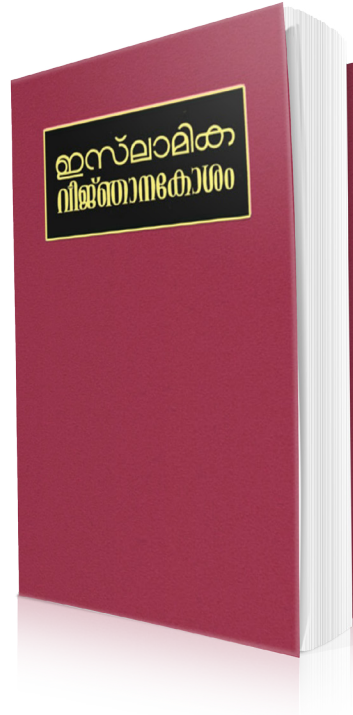
المحرر التنفيذي د. عبد الحليم،

• عدد الصفحات: 802، سنة النشر 2020

• اللغة: مالايالام، الناشر: دار النشر الإسلامي،

كوزيكود، كيرالا

* مستعرب هندي



الغربية وبالعلاقات الدولية. وهذه الشخصيات ليست محصورة في العالم العربي والإسلامي فقط بل هناك عناية خاصة بشخصيات دينية وسياسية وثقافية في الهند وكيرالا مثل رئيس الهند الراحل الدكتور ذاكر حسين ومناضل استقلال الهند طيب جي بدر الدين والمسرحي المشهور طيب ميهتا والداعية المعاصر المشهور الدكتور ذاكر نايك والشخصية التاريخية من سلالة ممالك موغول دارا شكوه الذي قام بنقل الكتب المقدسة الهندوسية إلى اللغة الفارسية والروائي في اللغة التاميلية الذي تولى في العام الماضي توبيل ميران والعالم الديني من الجيل القديم في كيرالا الأستاذ طائي المولوي وهلم جرا.

وقد ورد في هذا المجلد ذكر كثير من كتب تاريخ الإسلام والمسلمين مثلا تاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون والطبقات الكبرى وطبقات الشافعية الكبرى وتاريخ دمشق وتاريخ حكماء الإسلام وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ التمدن الإسلامي وتاريخ السودان. تُضاف إلى هذه القائمة كتب في التاريخ أُلْتُفُتُ باللغة الأردية مثل تاريخ فيروز شاهي من الوثائق المعتمد عليها في تاريخ الهند في العصور الوسطى لضياء الدين البرني والعضيفي وتاريخ فريشته الذي يرسم تاريخا شاملا عن حكم المسلمين في الهند لأبي القاسم فرشته وطبقات ناصري وتاريخ الإسلام وغيرها. ويلاحظ أيضا في موضوع التاريخ كتاب آداب اللغة العربية وتحفة المجاهدين الذي ألفه باللغة العربية زين الدين المخدوم من شيوخ كيرالا، أُلْتُفُتُ المذكور هذا الكتاب لتحريض المسلمين للجهاد ضد قوات

المنشقة من السلفية السعودية. ومحليا نجد إضاءات على مختصر تاريخ جذور الإسلام وانتشاره وحاضر المسلمين في تانور وتاماراشيري وتايكاتوكارا وتازات أنغادي وتازاكود وتيكودي وتيروفانانتابورام وتيررانغادي وتيرور وتوور وتريباناشي تريشور وتودوبوزا وتوتوموكهام، جميعها مناطق واقعة في ولاية كيرالا. ويأخذنا هذا المجلد إلى جمال المعمار الفني الذي يغمر «تاج محل» من العجائب السبعة العالمية وإلى مسجد تاج المساجد المشهور في بهوبال في ولاية «مادهيابراديش» ودار العلوم بديوبند من أعرق الجامعات الإسلامية في الهند وسلطنة دلهي أول حكومة منتظمة للمسلمين في الهند، كما يلقي الضوء على «التابعين» الجيل الذي يلي أصحاب رسول الله وعلى علامات القيامة مثل دابة الأرض والدجال وعلى المصطلحات السياسية الإسلامية مثل دار الحرب ودار الإسلام ودار العهد ودار الكفر ودار البغي وعلى المصطلحات الفقهية مثل الطهارة والظهور (علما بأن حرف ط من مشتقات حرف ت في اللغة المالايالية) وعلى الكتاب المقدس «التوراة» الذي أنزل على النبي موسى وعلى العقيدة الإسلامية التوحيد وعلى ممالك مثل التغلقين والظاهرين والطلولونيين والتيموريين والدانشمنديين والتاتار وغيرهم.

أما سير الأعلام والشخصيات الهامة فنجد في هذا المجلد الشخصيات التاريخية مثل النبي داود والملك طالوت والشاعر الجاهلي طرفة والشخصيات العربية في قديم الزمان مثل الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله والمؤرخ الإسلامي الإمام الطبري وفتح أسبانيا طارق بن زياد والعالم التابعي طاؤوس بن كيسان وإمام المذهب الظاهري داود الظاهري والمحدثين الجليلين الدارقطني والدارمي والقائد الجندي تيمور كما نجد فيه رجال الفكر والأدب في العصر الحديث مثل الطهطاوي رفاعة ودراز عبد الله وطه جابر العلواني وطه حسين والطبيب صالح وتوفيق الحكيم. وسيرة طرفة تعطي للقراء صورة عامة عن حياة الشعراء في العصر الجاهلي. وقد اهتم الناشرون بأن تضاف إلى سيرة طرفة ترجمة بعض أشعاره. والدراسة التحليلية عن عميد الأدب العربي طه حسين والعملاقين الإبداعيين الطبيب صالح وتوفيق الحكيم مفيدة جدا لطلاب الأدب العربي في جامعات كيرالا. وكذلك سيرة حياة كل من داود أوغلو وطرغت أوزال وتيسير علوني وتوفيق فكرت وتوفيق الواعي وتوفيق الشاوي وطارق السويديان وتونكو عبد الرحمن ثرية بمعلومات مفيدة لمن يهتم بالدراسات الإسلامية وشؤون آسيا



الحمض النووي للشعوب السلافية.. الأصل والتاريخ أناتولي كليسوف

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

تعد مسألة أصل الشعوب السلافية من المسائل الأكثر تعقيدا وغموضاً في العلوم التاريخية في الوقت الراهن، لا تفتأ تطرح المزيد من علامات الاستفهام، وتفاقم حيرة العلماء والمؤرخين كلما تعمقوا في بحثهم واستقصائهم التاريخي. فمفهوم الشعوب السلافية، ولسبب ما، يستند إلى اصطلاح لغوي خالص، وهو الاصطلاح المعمول به في أوساط المؤرخين، ويتلخص هذا الاصطلاح في أن العرق السلافي هو «المجاميع البشرية الناطقة باللغة السلافية أو اللغات المتفرعة منها». ولكنه تعريف يضعنا أما حزمة من الأسئلة ومنها: هل معيار اللغة كافٍ لتحديد جنس ما أو أصل قوم من الأقوام؟ ألا يمكن أن يفقد شعب من الشعوب لغته أو يتسبدها بلغة أخرى خلال مسيرته التاريخية؟ هل من العدل تحديد عمر الأقوام بالتواريخ التي تحددها الكشوفات الكتابية واللغوية لهؤلاء القوم أو أولئك، وذلك حسب النظام اللغوي المتبع اليوم؟ فإذا كان ظهور الشعوب السلافية، بحسب اللغويين، قد حدث في منتصف الألفية الأولى (وهذا تاريخ متأخر وفقا للمعايير التاريخية) فأين كانت هذه الشعوب قبل عام ألف وخمسمائة؟

سابق (يحمل حاليا الجنسية الأمريكية) ومتخصص في الطب الحيوي والتحليل الأنزيمي. وفي كتابه الأخير هذا، يعيد أناتولي كليسوف تشكيل صورة العالم القديم استناداً إلى حضريات الحمض النووي المشفر. فبمراجعة أحدث البيانات في مجال تخصصه، والمؤكدة علمياً، يحدد لنا المكان الذي انحدر منه السلافيون، ويرسم شجرة أنسابهم، والفرع الذي تمتد منه القومية الروسية المعاصرة، إلى جانب شرحه لشيوع المغالطات وتزوير المعطيات في علم الوراثة.

وإن شكّل موضوع السلافيين وأصلهم حجر الزاوية في البحث، إلا أنه ليس الفرع الوحيد في مجمل سردية الكتاب، حيث يقدم المؤلف فكرة عن علم الأنساب للحمض النووي الذي يتطور ديناميكياً، والمخالف للنظرية المتعلقة بالنسب الإفريقي لشعوب الأرض قاطبة، وهي نظرية يعرفها المجتمع العلمي منذ أمد طويل. وقد حاول المؤلف التوصل إلى مهد الشعوب الأوروبية التي نعرفها اليوم، إلى جانب استعراض العلاقة الوراثة بين السلافيين الشرقيين وممثلي الطبقات العليا في الهند بطريقة مثيرة للاهتمام، كما يرفض النسب المتداول للأمرء الروس الأوائل باعتبارهم من أرومة سويدية.

من جانب آخر يثبت المؤلف من خلال دراساته أن مؤسسات العلوم الرسمية اليوم تلتزم بوجهة نظر وحيدة تنص على أن أصل السلافيين يعود إلى عهود حديثة، وأن الشعوب السلافية مدينة بحضارتها ودولها لأجناس أخرى. يكتب كليسوف: «بشكل عام، وهذا أمر مثير للاهتمام، لا أحد يسمي اليابانيين

الحية والماندرية، والنبت في المخطوطات القديمة في مكتبات الأديرة، ولكن ببساطة عن طريق تتبع العلامات في الحمض النووي المتوفر لدينا. هذه العلامات التي لا شائب في تركيبها لا ترضخ للمعايير الزمنية، ولا تتأثر بالتحويلات التاريخية من تفكك الأمم وتبدل أحوالها عبر العصور، ولا يلغي فاعليتها سوى اندثار الأمة عن بكرة أبيها وانحماؤها أثرها من الوجود وهذا أمر لا يحدث. لقد شقت علامات الحمض النووي طريقها عبر التاريخ بإصرار وعناد. وهي حين تشق طريقها بهذه الثقة المطلقة، لا تكتفي بالإعلان عن وجودها الساطع وحسب، بل تتيح أيضاً إمكانية حساب الفترة الزمنية التي عاش فيها حاملوها من الأقوام السالفة. إنها شبيهة بسرب طير ينتمي إلى جنس واحد، ربط في أرجله حلقات متشابهة، فمهما طار بعد ذلك وتشتت في مختلف الأقطار والقارات، فإن حلقاته تدل عليه لا محالة.

إن علم الأنساب، ومن دون التقليل من أهمية علم الآثار واللغويات والأنثروبولوجيا، ومن غير خلط بين هذه العلوم، أو استبدال أحدها بالآخر، فوظيفته أن يضع، ويوحّد، ويصادق (أو ينكر) على وجود أجزاء متباينة، أو متضاربة من المعطيات التاريخية، والأنثروبولوجية، واللغوية، في نظام واحد محدد، مما يسمح بحل عدد من الألغاز المعلقة، والتي ظلت مبهمة للعلماء لسنوات طويلة.

والحال كذلك يُلقي مؤلف الكتاب، البروفيسور أناتولي كليسوف، ضوءاً كاشفاً على التاريخ السلافي، مع أنه ليس مؤرخاً، وإنما عالم كيميائي سوفييتي

يستخدم المؤرخون منهجية مختلفة وي طرحون معايير أخرى لتحديد السلافية كجنس. وربما يكون الاجتهاد الذاتي والآراء الخاصة في مقدمة هذه المعايير، مع غياب الموضوعية والغموض في أحيان كثيرة. هناك أيضاً البراهين المادية التي يسترشد بها المؤرخون في استنتاجاتهم لتحديد الجنس كأنماط السيراميك، وأطرزة المساكن، والطقوس الجنائزية وغيرها. ولكن ماذا عن المجموعات التي افتقرت عن الأرومة الأولى للقوم السلافيين بأعداد كبيرة، واستوطنت في مساحات شاسعة من البلقان والسهل الروسي ضمن مناخ يختلف تماماً عن الموطن الأصلي؟ أليس من المنطقي أن يتكيفوا في بيئتهم الجديدة مع مرور الوقت، ويكتسبوا عادات مختلفة تحدد طرق صناعاتهم المنزلية، ومعداتهم العسكرية، وخطايتهم ملابسهم، وبناء مساكنهم؟

لا شك أن علماء الآثار والمؤرخين قد بذلوا جهداً جباراً، وراكموا جبلاً من المعارف لإجمال التاريخ السلافي، ولكن يبدو أن بعض أجزاء هذا الجبل ظلت معلقة في الهواء، يحيطها الغموض وتغمرها سحب الظنون. وقد ظلت على حالها السرابي هذا حتى الأمس القريب عندما بدأت الكشوفات تتدفق إلى تربة التاريخ من مزاريب مختلفة امتدت من مضخة العلوم الحديثة كعلم الأنساب للحمض النووي الذي استخدمه مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا لعرض خلاصاته التاريخية.

وكما يتردد في الكتاب فإن علم الأنساب للحمض النووي يمكننا من رصد هجرات الشعوب بدون الحاجة إلى مجرفة وفرشاة عالم الآثار، ومن غير قياس جماجم الموتى، أو تحليل ومقارنة معاني الكلمات بين اللغات



سُمي على هذا النحو بسبب شيوعه بين الكهنة اليهود، وهو سمة مميزة عمومًا لليهود من الأصل الشرق أوسطي. ولكن كليسوف يُعارض بشدة هذه التسمية الراجحة في المجتمع العلمي، مشيرًا إلى أنه منتشر كذلك بين العرب، ولا يقتصر على اليهود. ووفقًا للكاتب فنحن، وإذا رجعنا للكتب الدينية، المسيحية منها والإسلامية، نجد فيها قرائن تثبت السلف المشترك بين العرب واليهود، وانطلاقًا من هذا، أي مما تقوله الكتب الدينية، وما تثبته الحقائق العلمية، فإن الأجداد بنا أن نطلق على هذا النمط السلالي تسمية «الإبراهيمي» الذي يشمل العرب واليهود معًا، وليس «الكاهني» الذي يقتصر على قوم واحد.

وفي تتبعه لمثلي فصيلة R1a الآرية في الشرق الأوسط، يشير المؤلف إلى موجات منها استوطنت بلدانا عربية. ووفقًا لتقديرات الباحث، فقد نزح فرع من فروع الآرية منذ حوالي أربعة آلاف سنة إلى الجنوب، ووصلوا إلى شبه الجزيرة العربية وخليج عُمان ليستوطنوا حيث تقع قطر والكويت والإمارات. ويضيف المؤلف في هذا السياق أن وجود الجنس الآري في شبه الجزيرة العربية قد يعود أيضًا إلى رقيق الآريين الذين جلبوا إلى المنطقة قبل أربعة آلاف عام. بيد أنه يترك للمؤرخين الإجابة النهائية عن هذا السؤال.

أخيرًا، ونظرًا لصعوبة الموضوع الذي يتناوله الكاتب، وتشعبه بين عدة علوم، وتشابكه بالمادة التاريخية، اقترح المؤلف صيغة توافقية تضمن قراءة تفاعلية لدراسته، وتسهل إيصالها للمتلقى، فلجأ إلى تقسيم فصول كتابه، بحيث يشمل البعض منها الأدلة العلمية، وتحتوي على المخطوطات والرسوم البيانية، إلى جانب أشجار الأنساب للسلالات الإثنية، والبيانات الإحصائية، بينما تختص الأخرى بعرض الأفكار، ووضع الاستنتاجات الرئيسية بأسلوب مبسط يناسب القارئ العادي غير المختص.

• الكتاب: الحمض النووي للشعوب

السلافية... الأصل والتاريخ.

• المؤلف: أناتولي كليسوف.

• الناشر: بيتر – سانت بطرسبورغ 2020

• اللغة: الروسية.

• عدد الصفحات: 400 صفحة.

* أكاديمية ومستعربة روسية



العكس من ذلك، حيث حملوا معهم إلى هناك لغتهم السنسكريتية.

وهكذا يمنحنا الكتاب فرصة لمتابعة الديناميات التي تمدد بموجها أعداد السلافيين في المكان والزمان، من أواسط آسيا، وعبر إيران وآسيا الصغرى، حتى أوروبا، وذلك إلى أن تنغلق هذه الحلقة في السهل الروسي. وكل هذا حدث منذ حوالي ١٥ ألف سنة حسب تقديرات الباحث.

وفي تتبع هذه المسألة يخصص المؤلف عددًا لا بأس به من الصفحات لإثبات القرابة التي جمعت السلافيين الشرقيين وبعض جنسيات الهند، وإن كان ذلك عبر سلف مشترك قبل ٥٢٠٠ عام. يقول المؤلف: «يوجد في الهند ١٠٠ مليون شخص ينتمون إلى سلالة R1a، التي يتشكل منها أكثر من نصف سكان روسيا، وما زالوا يطلقون عليهم التسمية التقليدية «هندو أوروبيين»، بينما الواقع أنهم من النسل الآري». وتصب الاستنتاجات التي توصل إليها الكاتب في

صالح الحقيقة اللغوية المثبتة والقائلة إن بين اللغتين الروسية والفارسية الحديثتين مشتركا في المفردات يعادل ٢٨٪ من مجموع المفردات الأساسية، وبين اللغة الروسية الحديثة والهندية القديمة ٥٤٪ من مجموع المفردات الأساسية.

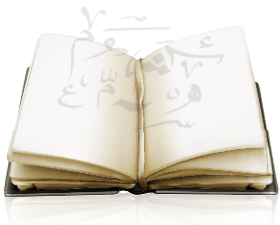
وللشرق الأوسط نصيب من دراسة الكاتب حيث يرد ذكره مرات عديدة في سياق البحث. وهكذا ففي الفصل المعنون «حول اليهود والعرب الفلسطينيين» يناقش المؤلف النمط السلالي المسمى علميا «الكاهني»، حيث

الذين عاشوا منذ خمسة آلاف عام (في كنف ما عُرف بثقافة دزيمون) إلا باليابانيين القدماء فقط، ولا أحد يدعو الهنود الأمريكيين القدامى الذين يعود تاريخهم إلى ثلاثة عشر ألف عام بأجداد الهنود، بل يُقال لهم هنود أميركيون (...). انطلاقًا من هذا، وبحسب المؤسسة العلمية الرسمية، فإن وجود السلافيين يعود إلى ألف عام فقط، في حين عاش الأجداد الأوائل بلا نسب! (ص: ٦).

ما زال العلم الروسي الرسمي متمسك بفرضية أصل الأمراء الروس الذين أسسوا الدولة الروسية في القرن التاسع الميلادي، فينسبهم إلى وافدين من البلاد الإسكندنافية. أما البروفيسور كليسوف فيرفض هذه الرواية ويرى بضرورة التخلص منها، مرة وإلى الأبد، داعيًا في الوقت نفسه لاعتماد التحليل المخبرية الكيماوية. يقول في هذا الصدد: «لدى الإسكندنافيين طفرات مميزة في الأنماط الضردية، يبلغ عمرها ٣١ تحويلة، أو طفرة، أي ما يعادل ٤٥٠٠ عام على وجه التقريب (...). لا توجد عملياً مثل هذه الأنماط على أراضي روسيا، وأوكرانيا، وروسيا البيضاء، وبعبارة أخرى، لم يكن هناك أي سكان إسكندنافيين في تلك الأراضي، على الأقل على المستوى الإحصائي، على الرغم من أن النورمانديين يقولون إن هناك عشرات الآلاف منهم سكنوا روسيا وسيطروا عليها كحرفيين مهرة، ومدبرين وأمراء (...). ويتضح هنا استحالة هذا الأمر حيث لا يمكن تصور أنهم لم يتركوا عددا كبيرا، أو حتى متوسطا، من الأحفاد».

يتضح جليا أن أحد الأهداف المركزية للكتاب توضيح العلاقة بين الآريين والسلافيين، فيخصص الباحث لهذه المسألة عددًا من فصول كتابه نذكر منها: «الآريون القدماء: من هم ومن أين أتوا؟»، «أين نجد منبع الأجداد؟»، «الهندي والروسي من وجهة نظر علم أنساب الحمض النووي».

يؤكد المؤلف انتساب العرق السلافي بالآريين مباشرة، أي حاملي المجموعة الفردية التي يُرمز إليها علميا بسلالة R1a كما ينتقد بشدة التسمية الشائعة «هندو أوروبية» التي تطلق على أصل السلافيين، وغيرهم من الأوروبيين، ويصفها بـ «المصطلح الأخرق» الذي يؤدي لمفاجمة الالتباس لأصل الشعوب أكثر مما يفسرها. يقول في هذا الصدد: «لم يكن فيهم (الآريون) شيء من الهنود والإيرانيين قبل نزوحهم إلى الهند وإيران. كما لم يكتسبوا لغتهم من الهنود والإيرانيين، بل على



دار الإسلام المتهاوية: حول أزمة العالم الإسلامي رؤد كُوبمانس

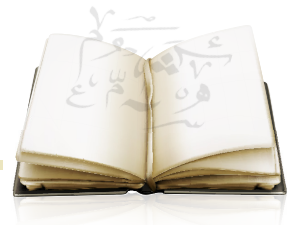
عبدالرحمن السليمان *

ينتمي هذا الكتاب إلى سلسلة من الكتب تصدر تباعاً في الغرب منذ هجمات الحادي من سبتمبر على برجى التجارة العالمية في نيويورك سنة ٢٠٠١، وزادت بعد أحداث الربيع العربي وعود تنظيم داعش الإرهابي في العراق والشام. بعض هذه الكتب ينطلق من رؤية كتاب صدام الحضارات للأمريكي صامويل هنتنجتون، فلا يرى كتابها في الإسلام شيئاً إيجابياً ويعتبرونه العدو الحقيقي للحضارة الغربية. وبعضها الآخر ينطلق كتابه من رؤية نقدية لما يجري في العالم الإسلامي ويحاولون تفسير ما بات يُسمى في الغرب بـ «أزمة العالم الإسلامي» تفسيراً علمياً. يحاول كاتب هذا الكتاب، وهو أستاذ هولندي يدرّس علم الاجتماع والهجرة في جامعة هومبولدت في ألمانيا، أن ينتمي إلى الفريق الثاني. لكن القراءة الفاحصة لكتابه تجعله في صف كتاب مثل برنارد لويس، وصامويل هنتنجتون والألماني من أصل سوري بسام الطيبي وأشباههم من الكتاب الذين يرون أن مشكلة العالم الإسلامي تكمن في الإسلام وذلك على الرغم من اختلاف أصولهم ومرجعياتهم الدينية والفكرية.

الإسلامية رغم استشهاده بإدوارد سعيد «الذي يؤكد على أن الأصولية ذات ارتباط وثيق بالمسيحية واليهودية والهندوسية». ثم يستحضر الكاتب - لرد على الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد - كلاماً للمستشرق البريطاني الأمريكي اليهودي برنارد لويس الذي يلتقي مع إدوارد سعيد في رفضه لتوظيف مصطلح الأصولية لتوصيف الحركات الإسلامية الأصولية ولكن لأسباب مختلفة عن أسباب إدوارد سعيد. إذ يرى برنارد لويس أن الحركة الأصولية نشأت ردة فعل على التيارات الليبرالية داخل الكنيسة وعلى أصحاب الطرح النقدي داخل المسيحية، بينما لا يعرف الإسلام تيارات ليبرالية ولا أصحاب طرح نقدي! يقول: «لا نجد عند علماء الإسلام مقاربة ليبرالية حديثة للقرآن. وعليه فإن جميع المسلمين - على الأقل فيما يتعلق بموقفهم من النص القرآني ونظرتهم إليه - أصوليون» وهذه هي النقطة الثانية التي يناقض الكاتب نفسه فيها، فلقد انتقل من التقرير بأن الأصولية تيار مخصص بالديانات وأن ليس كل مسلم أصولياً ليتمترس أخيراً خلف مستشرق معروف بموقفه السلبي من الإسلام ويعتبر أن جميع المسلمين أصوليون، ويخلص إلى التلميح الذي يقترب من التصريح بأن الأصولية والتطرف مرادفان للدين الإسلامي. ثم يعزو الكاتب في فصل آخر تأخر العالم الإسلامي عن اللحاق بركب الديمقراطية إلى انتشار الإسلام الأصولي والمتطرف في بداية الثمانينيات، وذلك دون أن يتساءل على أسباب انتشار الإسلام المتطرف ومن أهمها التدخلات الخارجية في العالم الإسلامي لأسباب اقتصادية وسياسية في المقام الأول. وفي الحقيقة يقدم الكاتب بعزوه هذا نصف الحقيقة لقراء كتابه. فهو من جهة يجعل الإسلام الأصولي مرادفاً للدين الإسلامي كما مر معنا، مما يعني أنه ينسب تأخر العالم الإسلامي عن اللحاق بركب الديمقراطية إلى الدين الإسلامي نفسه، وليس إلى الإسلام الأصولي المتطرف الذي نشأ بعد سنة ١٩٧٩. ومن جهة أخرى يغض الكاتب الطرف بل يتجاهل كلياً توظيف الدين الإسلامي لتحقيق مآرب سياسة، مما أدى إلى تدهور أوضاع المرأة والأقليات الدينية وإلى الحد من الحريات بشكل عام. كما أن تعميمه في جعله الإسلام سبباً في تأخر العالم الإسلامي عن اللحاق بركب الديمقراطية يفترض إلى الدقة والموضوعية وحتى المصادقية، فهو يتجاهل حقيقة أن حكمه ينطبق أولاً

سياسية مزمنة أدت إلى عدم استقرارها وبالتالي إلى تخلفها اقتصادياً واجتماعياً. يجعل الكاتب سنة ١٩٧٩ «بداية للحالة التي أوصلت العالم الإسلامي إلى ما هو عليه الآن»، ويقصد بتعميمه هذا ما يجري في العراق والشام واليمن وليبيا منذ بداية الربيع العربي حتى اليوم. ويذكر الثورة الإيرانية وأحداث الحرم الشريف والحرب الأفغانية ويعتبرها أحداثاً وقعت كلها سنة ١٩٧٩ وكانت بمثابة الأسباب بل المسببات التي مهدت الطريق لأحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ثم لنشوء تنظيم القاعدة وتنظيم داعش والأحداث الدراماتيكية المرتبطة بهما في سوريا والعراق وخارجهما. ويرى الكاتب أن احتلال الاتحاد السوفييتي السابق لأفغانستان لتثبيت أركان الحكم الشيوعي الأفغاني فيها، ودعم السعودية وباكستان وأمريكا للشوار الأفغان الذين أخرجوا السوفييت من أفغانستان بعد عشر سنوات من القتال، مسؤولان عن انتشار الفكر الجهادي السلفي. لكن الكاتب يجعل المشكلة كلها على عاتق ما يصر على تسميته بـ «العالم الإسلامي»، ويركز في ذلك على إيران وباكستان والسعودية، ويتجاهل كلياً دور القوى العظمى في الحرب الأفغانية، ويخلي مسؤوليتها كلياً مما يجري فيها. وهذا أول تناقض للكاتب مع تصريحه في مقدمته حول التزامه بالموضوعية. ثم يتساءل الكاتب: «من هو الأصولي؟» ويجيب: «إن الأصولية الدينية ليست حكراً على الإسلام، بل نشأت في أوساط البروتستانت في أمريكا بداية القرن الماضي ردة فعل على التيارات الليبرالية داخل الكنيسة، وكذلك على الثورة الصناعية المتسارعة آنذاك. ثم يقدم تعريفاً سهياً مستمداً من علم الاجتماع الديني مفاده أن الأصولية الدينية هي «الإيمان بمجموعة من التعاليم الدينية على أنها الحقيقة الإلهية المعصومة والمطلقة حول الإنسانية والعالم» واعتبار ما يتعارض معها شراً كله ينبغي محاربته. ثم يقرر بأن ليس كل مؤمن معتقد بدين ما أصولياً، فالأصوليون ضد المؤمنين التقليديين أو المؤمنين العاديين، لأنهم - أي الأصوليين - «يرفضون كل العناصر الدينية التي لا تنتمي إلى الدين الصافي بصورته الأولى» كما يرونه هم. ولكنه، وبعد أن ذكر بصريح العبارة أن الفكر الأصولي في الأصل مسيحي النشأة وأن اليهودية وكل الديانات تعرف تيارات أصولية، أخذ يشكك في جدوى توظيف هذا المصطلح لتوصيف التيارات الأصولية

يتألف الكتاب من مقدمة وسبعة فصول يربطها حبل عريض - إن صح التعبير - حيك حول السؤال التالي: لماذا تأخر العالم الإسلامي عن اللحاق بركب التقدم الاقتصادي والديموقراطية وحقوق الإنسان؟ ويتفرع عن هذه السؤال الرئيس أسئلة عديدة طرحها الكاتب في ثنايا كتابه تتعلق بالتطرف ووضع الأقليات الدينية في العالم الإسلامي ووضع المرأة والحروب المذهبية. ينصص الكاتب في مقدمة كتابه على أنه يميز بدقة بين نقد الإسلام بصفته دينياً عالمياً، وبين رهاب الإسلام، وأنه لا يعاني من رهاب الإسلام. ولتأكيد ذلك يخصص الكاتب الفصل الأول من كتابه للحديث عن الحضارة العربية - الإسلامية وفترات ازدهارها. ففي الوقت الذي كانت أوروبا بعد سقوط الدولة الرومانية تتراجع فيه إلى الخلف، كان العالم الإسلامي يزدهر ويتقدم إلى الأمام بسرعة فائقة. ويركز الكاتب في هذا الفصل على ازدهار العلوم الإسلامية وحركية الدين الإسلامي الذي بنى دولة مترامية الأطراف في أقل من مائة سنة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ففي سنة ١٤٩٢ سقطت غرناطة - آخر معاقل الإسلام في الغرب - ولكن في الوقت نفسه كان الأتراك العثمانيون يبنون قوة حقيقية في العالم الإسلامي مكنتهم من فتح القسطنطينية، ثاني أهم مدينة في العالم المسيحي بعد روما. ففي الوقت الذي خرج الإسلام فيه مهزوماً من أوروبا الغربية، دخلها من شرق أوروبا منتصراً وضم إليه أراضي كثيرة في البلقان وحاصر فيننا مرتين (سنة ١٥٢٩ وسنة ١٦٨٣). بعد استعراضه السريع للحضارة العربية - الإسلامية وحركية الدين الإسلامي، يقفز الكاتب عدة قرون في الزمن وينطلق في تحليله من السنة ١٩٧٩ التي يرى أن أحداثاً كبيرة وقعت فيها أدت إلى نشوء تيار إسلامي محافظ أدى بدوره إلى التطرف وتراجع الحريات العامة في العالم الإسلامي. فالكاتب يتحدث باستمرار عن العالم الإسلامي أو «دار الإسلام» مع التركيز الدؤوب، من أول الكتاب إلى آخره، على العناصر المشتركة بين المسلمين، ويضع «دار الإسلام» مقابل «دار الحرب» أو العالم الغربي المتطور علمياً وتكنولوجياً. وهنا يقع الكاتب في شرك التعميم لأنه ساوى بين الدول الإسلامية في التعميم وجعل الدول الإسلامية المتطورة اقتصادياً كدول الخليج وماليزيا وإندونيسيا وتركيا في الحكم مثل أفغانستان والعراق وبنغلاديش التي تعاني من اضطرابات



أكثر من نصف النساء المحجبات يفضلن البقاء في المنزل للاعتناء بالأسرة وتربية الأطفال بدلاً من المشاركة في سوق العمل. ويرى الكاتب أن من نتائج ذلك، في مجتمعات غربية تعمل فيها الرجل والمرأة معاً لتحصيل مستوى معيشي جيد يمكنهما من الاستثمار في تعليم الأبناء وتطوير مواهبهم، أن حوالي نصف الأسر المسلمة لا تستطيع الاستثمار بما فيه الكفاية في تعليم أبنائها وتطوير مواهبهم. وهذا حكم قد يصح في سياقات ولكنه لا يصح في سياقات أخرى.

ثم يختم الكاتب فصله المتعلق باندماج المسلمين في الغرب بالقول إن الصناعات الإسلامية المتعلقة بالعلاقة بين الرجل والمرأة مشكلة إسلامية داخلية لا تؤثر على المجتمع بشكل عام. «لكن الأمر يصبح مختلفاً عندما يتعلق الأمر بقناعات وسلوكيات تصطدم مع المبادئ الأساسية للمجتمع المنفتح وتريد أن تحد من حرية الآخرين بواسطة العنف». ويرى أن هذا العنف «مُأسس قانونياً في دول إسلامية كثيرة عندما يتعلق الأمر بالتجديف والردة والمثلية أو الجنس خارج إطار الزواج». ثم يصرح الكاتب بأن السواد الأعظم من المهاجرين المسلمين وأبناء الجيل الثاني والجيل الثالث والجيل الرابع في الغرب يتعايشون بسلام تام مع سائر أطياف المجتمع، «لكن جزءاً صغيراً منهم لم يتخل عن التطرف الديني والعنف ضد الأقليات المنتشرين في دولهم الأصلية كذا». يمارس هذا الجزء العنف ضد اليهود وضد المثليين وضد النساء». وهذا حكم ظالم لأنه يجعل من عمليات فردية شاذة قاعدة يعممها على جزء من الجاليات الإسلامية في الغرب.

الكتاب ينتمي إلى سلسلة من الكتب التي تنطلق من رؤية نقدية للإسلام مغلفة بإطار موضوعي لكن سرعان ما تنحرف عن منطلقها لتستحيل إدانة ظالمة لدين لا يكاد يرى أصحاب تلك الرؤية فيه شيئاً إيجابياً. وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا الكتاب يحتوي على جميع الأحكام المسبقة عن الإسلام التي تراكمت في الغرب منذ 1979، وذلك دون إنكار مسؤوليتنا نحن المسلمين عن قسط من المشاكل التي تعاني منها في العالم الإسلامي، وأهمها التطرف الديني والطائفية وتسييس الدين.

• الكتاب: دار الإسلام المتهاوية. حول أزمة

العالم الإسلامي

• الكاتب: زود كُوبمانس (Ruud Koopmans)

• الناشر: دار بروميثيوس – أمستردام،

هولندا

• اللغة: الهولندية

• عدد الصفحات: 279 صفحة

• سنة النشر: 2019

• رقم الإيداع الدولي: 9789044634099

* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان
في بلجيكا

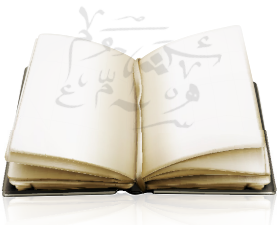


وأمریکا وأستراليا قد أثرت المجتمعات الغربية بعدد كبير من الأفراد الموهوبين والمبدعين». ثم يسمي منهم عدداً من الناجحين في مجال الفن والرياضة والسياسة «بالإضافة إلى الآلاف من العمال والملاجهين الذين يعملون بتفانٍ وإخلاص فيحسبون ظروفهم الحياتية من جهة ويساهمون في بناء مجتمعاتهم الجديدة، وتقدمها من جهة أخرى. ويضيف: «إن سرد الأسماء الناجحة منهم يحتاج إلى أوراق أكثر من أوراق هذا الكتاب». في الوقت نفسه يرى الكاتب أن المهاجرين من البلدان الإسلامية جلبوا بعض مشاكل تلك البلدان الإسلامية معهم، ويعتبر «الطرح الذي يعزو مشاكل التأخر في الاندماج والتطرف الديني ومعاداة السامية وكره المثليين إلى التمييز الاجتماعي بدلاً من عزوها إلى الدين الإسلامي» طرحاً ساذجاً. وهنا يقم الكاتب مصطلح معاداة السامية – أي كره اليهود – في الحديث بدون أي مبرر له. فعلى الرغم من بعض الحالات التي وقعت في أوروبا والتي اعتدى فيها شبان مسلمون على يهود، فإن هذه الحالات فردية وليست تمثل تياراً منتشرًا بين المسلمين. بل إنها لا تساوي – كمياً – شيئاً مقابل اعتداءات اليمين المتطرف على اليهود وعلى مقابرهم التي تتعرض من وقت لآخر للتخريب والتدنيس المنهجين. فالكاتب لا يذكر اليمين المتطرف هنا ويصور الأمر وكأن الموجة الجديدة من معاداة اليهود سببها الشباب المسلم الذي يتعاطف مع القضية الفلسطينية كما يتعاطف أكثر يهود الغرب مع إسرائيل. وبدلاً من ذلك يركز الكاتب على ما يعتبره مشاكل المسلمين الداخلية ويجد فيها انعكاساً لمشاكل «العالم الإسلامي». ثم يعزو تلك المشاكل التي ذكرها في كتابه إلى الإسلام الذي «أصبح يسيطر عليه المتشددون» كما ذكر أكثر من مرة في محاولة لترسيخ ذلك في ذهن القارئ. وللأسف الشديد فإن التعميم ينسف كل مرة محاولة الكاتب لأن يكون موضوعياً في طرحه. وفي آخر هذا الفصل يتوقف الكاتب عند نتائج بحث أجراه مع زملاء له في ست دول أوروبية حول نسبة مشاركة المرأة المسلمة في سوق العمل. كانت النتيجة كما يلي: «تنشط 60% من النساء غير المحجبات في سوق العمل مقابل 40% من النساء المحجبات». ويستنتج من ذلك بأن

وقبلاً على الجمهوريات العربية العلمانية التي أقصت الدين من حياتها الاجتماعية إقصاء تاماً، وليس على الدول العربية ذات الأنظمة الملكية والطابع الإسلامي التقليدي. كما يتجاهل التجارب الديمقراطية في الدول التي تعرف تداول السلطة بالاكتام للشورى (سلطنة عمان أنموذجاً) أو لصندوق الاقتراع (تونس وتركيا أنموذجاً) أو لتوريث الملك بطريقة سلسلة (المغرب والسعودية أنموذجاً). أما حكمه على العالم الإسلامي – بالتعميم من جديد – بالتخلف الاقتصادي فيكذبه الواقع القائم منذ عقود في الدول الخليجية وتركيا وماليزيا واندونيسيا وغيرها. ثم يعزو الكاتب «التخلف الاقتصادي في العالم الإسلامي» إلى نظام الإرث في الإسلام الذي يعتبره أعدل من نظام الإرث في الغرب المسيحي الذي كان يجعل الإرث كله للابن البكر ويحرم الإخوة والأخوات من تركة الأب. ومع ذلك فيفضل نظام الإرث الغربي «لأن تراكم الثروة بيد شخص واحد أدى إلى نشوء تجمعات اقتصادية مهدت للثورة الصناعية، بينما يبدد نظام الإرث الإسلامي ثروة الهالك بتوزيعها على أطراف كثيرة، خصوصاً إذا كان للمتوفى زوجات وأبناء كثيرون. وفي الحقيقة إن الكاتب يتجاهل في كتابه التنوع الاثنى والثقافي والفكري والمذهبي والسياسي الكبير في العالم الإسلامي ويصر على جعله كتلة واحدة يقارنها تارة بالشيوعية وتارة بالأنظمة الشمولية. بل إن التحيز في الطرح جعله يعتبر «نظرة المسلمين المحافظين للدور الاجتماعي للجنسين مثل نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا»!

وقد أكثر الكاتب في كتابه من الإحصاءات المتعلقة بعدد ضحايا تنظيم القاعدة وداعش الإرهابيين، فتراه يعدهم في كل دولة ابتداء من أحداث الحادي عشر من سبتمبر حتى اليوم، دون أن يأتي على ذكر ضحايا الاستعمار الغربي والمآسي التي تسبب بها في المستعمرات الآسيوية والإفريقية والأمريكية الجنوبية. كما تجاهل في كتابه الحروب الكثيرة وأهمها الحربان العالميتان اللتان خلفتا أكثر من مائتي مليون قتيل مباشرة بسبب الحرب أو نتيجة للحرب كالإفنونزا الإسبانية. وقد قامت الحرب العالمية الثانية على أسباب إيديولوجية وعنصرية تسببت في مآسٍ كثيرة منها تحريق اليهود والعجز وغيرهم من الشعوب بالغاز لا لشيء إلا لخلفتهم الدينية أو الإثنية. هذا كله لم يخصه الكاتب، عالم الاجتماع، بشيء ولم يذكر تبعاته على الدول الإسلامية التي رزحت تحت الاستعمار الغربي لعقود كثيرة، بل اكتفى بتحليلها أسباب تخلفها بجرة قلم. واكتفى، عند حديثه عن العراق الذي نشأ تنظيم داعش فيه وعرف حرباً مذهبية طاحنة بالقول «إن التدخل الأجنبي فيه لم يساهم في تحسين الأوضاع فيه». وهو عندما قرر أن الغزو الأمريكي أدى إلى ضرب سمعة الولايات المتحدة الأمريكية ومصداقيتها في العالم فإنه في الوقت نفسه لا يذكر شيئاً عن ضحايا هذا الغزو الذين ناهز عددهم مليون قتيل. وقد أشار الكثيرون من الكتاب الغربيين والشرقيين إلى المسؤولية المباشرة للغزو السوفييتي لأفغانستان والغزو الأمريكي للعراق في خلق الظاهرة الجهادية وإذكاء أوارها، ذلك أن التيارات السلفية الجهادية وما نجم عنها من طالبان وقاعدة وداعش ما كان لها أن تنشأ لولا الحروب التي شهدتها كل من أفغانستان والعراق.

ثم يتوقف الكاتب في فصل آخر عند الجاليات الإسلامية في الغرب الذين يقدر عددهم بحوالي أربعين مليون مسلم. يقدم الكاتب لفصله هذا بالقول «إن الهجرة من البلاد الإسلامية إلى أوروبا



موسوليني قام أيضاً بأشياء جيدة: الحماقات التي تستمر في الانتشار حول الفاشية فرانشييسكو فيليببي

فاتنة نوفل *

يمثل هذا الكتاب استجابة حازمة للقصاص الزائفة التي يتم تداولها في كثير من الأحيان عن شخصية الدوق موسوليني الذي يُنسب إليه القيام بالأعمال المعمارية والسياسة والاقتصادية في إيطاليا. فبعد أكثر من سبعين عاماً على سقوط الفاشية تعود وترفع رأسها مرة أخرى، خاصة على الإنترنت وليس هناك فقط. العبارات المتكررة لسنوات على شكل نكت والتي كانت تبدو مضحكة لوقت ليس ببعيد أخذت تشق طريقها بشكل متزايد لهدف مختلف تماماً حيث لم تساعد المدرسة في شرح ما حدث في ذلك الوقت؛ فهناك سياسة معينة تداعب حتى اليوم وجهة النظر تلك ونحن مضطرون لسماع هذا الهراء الذي ينتهك التاريخ في لحظة صعبة وخطيرة لمجتمع لديه الأدوات والطاقات الإيجابية للتقدم.

عندما وصل موسوليني إلى السلطة، واجه مشكلة تأخر القطارات بطريقة دعائية، حاول أن يفعل شيئاً ولكن الأزمة الاقتصادية لم تساعد، لذا كان التدخل القوي الوحيد ضد السكك الحديدية هو التقليل من عدد الموظفين وبعد أن أدرك أنه لا يستطيع حل المشكلة، قرر نسيانها. في عام ١٩٢٦ تم العمل بسلسلة من المراسيم والقوانين والتعاميم الخاصة بالمحافظات أن على رؤسائها المحافظين واجب الكشف عن الأخبار التي تضر بشرف إيطاليا ولم يعد أحد يسمع بتأخير القطارات منذ الثلاثينيات وهكذا تم حل المشكلة.

هل أحبب موسوليني الإيطاليين؟ ولإدراك العكس، يكفي قراءة الوثائق التي تركها المقربون منه، كتب صهره غالباتسو شيانوان أن الدوق استمتع برؤية الإيطاليين يعانون لأنهم بهذه الطريقة سيكونون ضعفاء ويمكن التلاعب بهم بسهولة. وهنا يمكن القول، أنه كان على علاقة قوية مع الشعب الإيطالي حتى أنه ذهب إلى حد احتقاره.

هل كان موسوليني دكتاتوراً «جيداً»؟ لم تكن الديكتاتورية الفاشية الشمولية بأي حال من الأحوال ذات وجه إنساني، فهي بالإضافة إلى القضاء على الحريات الفردية سُنّت العديد من القوانين العنصرية التي أصدرها ذلك النظام عام ١٩٣٨.

قائد الادخار والضمان الاجتماعي، هل أعطى موسوليني رواتب التقاعد للإيطاليين؟ لم يعط الدوق رواتب التقاعد للإيطاليين: لقد كان هناك مؤسسة تسمى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي منذ نهاية القرن التاسع عشر (تم إنشاؤها من قبل حكومة كريسبي) والتي كانت مهمتها

الكامن وراء تلك الحقبة التاريخية، ولأن شيئاً واحداً مؤكداً وهو أن موسوليني كان مديراً سيئاً جداً وخبيراً استراتيجياً متواضعاً، واقتصادياً غير كفؤ وديكتاتوراً لا يرحم، كانت نتيجة نظام حكمه الذي دام عشرين عاماً إقصاراً عاماً للشعب الإيطالي وزيادة مذهلة في الظلم وأخيراً حرباً كارثية.

هناك نوع من القاموس المتداول في الأماكن العامة يصور الفاشية كحركة زعيمة تقاوم منذ أكثر من سبعين عاماً في إيطاليا بوجود مناخ سياسي منفتح تجاه ذلك الماضي الذي خلقه سالفيني (قائد عصبة الشمال) وحزبه ومن قبل حكومة استبدادية ومعادية للأجانب يبدو أنها تريد إلغاء كل روح المساواة والإنسانية وفق مفهوم موسوليني الديكتاتور الجيد للقرن العشرين كما كتب شيزاري غاربولي في صفحات مذكراته قبل عشرين عاماً تقريباً عن فاشية عائدة، فاشية لم تشعر أبداً بالهزيمة.

لقد كان أول من نشر الخدع والأساطير أو الأخبار المزيفة بلغة اليوم ومنها فكرة الدوق الجيد هو الدوق نفسه، لأن الفاشية هي أكبر بائنة ومدافعة عن الأساطير عن نفسها فهي نظام يستجيب فقط لاحتياجات الناس ومشاكلهم وفق وجهة نظرهما، غالباً ما يتم ذكر الأعمال المنفذة في هذا العصر مثل توسيع شبكة الطرق والتي أصبحت مثلاً على كفاءة الفاشية، النقطة هي أنه عندما قام نظام موسوليني بأشياء جيدة لم يفعل ذلك من أجل الصالح العام ولكن من أجل حاجة دعائية وبالتالي المظهر، وكما يقول الكاتب أومبيرتو إيكوان «موسوليني لم يكن لديه فلسفة بل كان لديه خطاب فقط».

إن هذا الكتاب لفرانشييسكو فيليببي ليس مؤلفاً عسكرياً بل هو درس عن ماضٍ لا يمر، قام فيه بتحليل الأرشيف من خلال البحث الموثق ليُمكنه من شرح ما حدث في العشرين عاماً من الحكم الفاشي لأولئك الذين لا يعرفون أو لا يريدون أن يعرفوا حيث قام فيه بالتحقق من المراسيم الملكية ومستندات الحكومة لمحاولة تجاوز الأسطورة التي تم بناؤها في هذه السنوات كنوع من الحنين إلى الماضي يُعتقد أنه كان سعيداً بسبب البريق الذي كان يسقط من إيطاليا عندما سادت الفاشية ففي عهدنا لم يسرق أحد وعمل الجميع وكان لكل شخص منزل والقطارات كانت تصل في الوقت المحدد كما تم وصف تلك الحقبة.

لقد حقق التاريخ في الفاشية وشخصية موسوليني بكل تفاصيلها وما زال يفعل ذلك. الصورة التي رسمها الغالبية العظمى من العلماء هي صورة نظام مستبد وعنيف وقصير النظر وعاجز وهو اتفاق بين العلماء الذين يعرفون التاريخ جيداً.

لكن أولئك الذين لا يعرفونه جيداً - وربما لديهم أجندة سياسية - لديهم لعبة جيدة لتناول تلك القصص القديمة ونقلها على أنها حقيقة وهي آلية الأخبار المزيفة fake news، التي يتم الحديث عنها كثيراً في الإنترنت؛ لكنها كانت أيضاً طريقة الدعاية التي اعتمدها الفاشيون في ذلك الوقت: «قل الكذبة، قلها عدة مرات وستصبح حقيقة».

وللرد على كل هذا، كل ما يتبقى هو قوة الدراسة والإجابة نقطة بنقطة، لإظهار الواقع التاريخي



هل عزز موسوليني دور المرأة في إيطاليا؟ بالنسبة للفاشية، كان على المرأة فقط أن تلد الإيطاليين الجدد والتبرع بهم للوطن وكان هناك العديد من أحكام النظام لطرد النساء من الوظائف العامة والخاصة. صوتت النساء لأول مرة في عام ١٩٤٦ للاستفتاء بين الملكية والجمهورية.

هل كان موسوليني قائداً عظيماً؟ باستثناء السنوات القليلة الأولى، كانت صورة القائد دائماً في ملابس عسكرية ومع ذلك وبالنظر إلى الواقع فهو لم يكن قائداً على الإطلاق: اتسمت الحروب التي خاضها الإيطاليون بالإبادة الجماعية والعنف ضد المدنيين في ليبيا وسلوفينيا؛ الهزائم التي عانت منها البلاد في إسبانيا ضد المتطوعين الجمهوريين وفي اليونان ضد الجيش الهيليني الذي كان يُفترض أن يكون أقل استعداداً من الجيش الإيطالي؛ فقد كان الجنود مسلحين بشكل سيئ مع قلة الدوافع بقيادة جنرالات لم يكسبوا المهنة إلا كموظفين وراء المكاتب أو التملق إلى النظام والتي تتناقض مع الصورة الزائفة للإيطاليين الجيدين.

إلى جانب هذه الخدع، لا بد من إضافة رأي ورد في كتاب آخر لصحفي من الراي (قناة التلفزيون الحكومية الرسمية) بعنوان «عندما كانت إيطاليا فاشية»، ووفقاً لهذا الصحفي، فإن المناهضين للفاشية هم الذين أحضروا موسوليني إلى الحكومة وليس مَلَكَ الأراضي ولا الصناعيين ولا الماسونية ولا عمى الليبراليين الإيطاليين الذين عاشوا مع بعبع الاشتراكيين وثورتهم. فكما نرى، ما زالت خدع الفاشية تكافح ضد الموت إلى يومنا هذا.

من هنا يمكن تفسير الانهيار المفاجئ لنظام عشرين عاماً من الحكم الفاشي في صيف عام ١٩٤٣ على أنه خيبة أمل كبيرة؛ إذ صمد لجيل واحد فقط لأن عدداً لا بأس به من الناس كان لديه الشجاعة ليقول إن الدوق كان في عزلة عن شعبه.

• **الكتاب: موسوليني قام أيضاً بأشياء جيدة، الحماقات التي تستمر في الانتشار حول الفاشية**

• **المؤلف: فران شيسكو فيليببي**

• **دار النشر: بوللاتي بورينغيري**

• **بلد الإصدار: إيطاليا**

• **لغة الكتاب: الإيطالية**

• **تاريخ الإصدار: آذار 2019**

• **عدد الصفحات: 131**

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا



الحقيقي للمشاكل التي سببها الزلزال بعد هدم مدن الخيام وبعد بضعة أشهر من الزلزال هو الهجرة. زعيم الشرعية، هل كان موسوليني مدافعاً عن العدالة؟ في أيام الفاشية لم يسرق أحد. خطأ، لقد قامت السرقات ولكن لا يمكن كتابتها في الصحف لأن الشرعية والعدالة هما شيان مختلفان خاصة في عصر الديكتاتورية حيث احترام القانون هو من اختصاص الفقراء أو المنشقين وليس الأقوياء.

الدوق وأتباعه نزيهون؟ كذبة كبيرة وضخمة. فيلات، وقلاع، ورشاوى، و ثروات ولدت من العدم. حقوق حقول النفط في البيانونورة بدانا الواقعة في إقليم فينيتو وفي جزيرة صقلية التابعة لشركة سينكلير كلفت جاكومو ماتوتوتي حياته لأنه كان يمتلك أدلة على الفساد، كيف يمكن نسيان خطاب الدوق الشهير في مجلس النواب في ٣ كانون ثاني/يناير ١٩٢٥ حيث قال: إذا كانت الفاشية جماعة إجرامية، فأنا رئيس هذه الجمعية الإجرامية وقد كانت البداية الحقيقية للديكتاتورية.

الزعيم الاقتصادي، هل رفع موسوليني الاقتصاد الإيطالي إلى أعلى المستويات؟ لم يتقدم الاقتصاد الإيطالي خلال عشرين عاماً؛ فقد تم تحقيق التوازن في الميزانية فقط بسبب الإغفاء من ديون الحرب ولم تَمَسْ أزمة عام ١٩٢٩ البلاد على الفور بسبب ضعف التمويل المالي للشركات. أنقذ موسوليني البنوك الاستثمارية بالمال العام، وأنشأ هيئة عامة لإعادة إطلاق الشركات ولكن في الواقع تم استخدامها لشراء الشركات التي كانت تمر في أزمة.

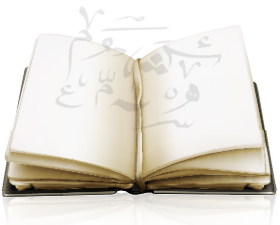
توفير معاش للموظفين العسكريين وموظفي القطاع العام، تمت إعادة تسميتها بالصندوق الوطني للتأمين الاجتماعي Inps في عام ١٩١٩ وتم تمديد التغطية أيضاً لتشمل القطاع الصناعي. وضعت الفاشية هذه الهيئة تحت سيطرة الحكومة وفي عام ١٩٣٣ أعادت تسميتها إلى Infps (حيث تشير F إلى الفاشية) بحيث يمكنها التحكم في تقديم المساعدات، ليس فقط المعاشات التقاعدية ولكن أيضاً المساعدات الأخرى التي توضع اليوم تحت بند الرفاهية «في محاولة دعائية للاستيلاء على ما كان في الواقع نتيجة عقود من المساومات والنضالات النقابية والإصلاحات التي نفذتها الحكومات الليبرالية ومبادرات النقابات العمالية السابقة».

هل قام موسوليني بإستصلاح الأراضي وتنظيف المستنقعات؟ أسطورة أخرى يجب تقليصها: استصلاح مناطق المستنقعات في إيطاليا بدأ قبل عشرين عاماً من حكم الفاشية، ومع النص الموحد للاستصلاح عام ١٩٢٣ حاولت الفاشية إجراء تدخلات استصلاح شارك فيها القطاع الخاص، فشلت هذه المحاولة لأنها اصطدمت مع كبار ملاك الأراضي في الجنوب لأنه تم فيها مصادرة الأراضي التي يتم استصلاحها من قبل الدولة.

كانت الخطة طموحة حيث تم انتزاع ثمانية ملايين دونم من أراضي المستنقعات، ولكن في النهاية تم استصلاح مليونين فقط، مليون ونصف تم استصلاحها من قبل الحكومات السابقة قبل عام ١٩٢٢. لقد كانت خطة مكلفة للغاية للدولة لأن الزراعة في تلك الأراضي التي مزقتها المياه كان أمراً لا يمكن تحمله؛ لذلك كان الحل الذي اقترحه قانون ١٩٣٣ هو إجبار المواطنين على البقاء متشبثين بالأرض وتقديم قروض مدعومة وتخفيف الضرائب على أمل أن يتحسن الوضع، وكانت تلك هي الطريقة الوحيدة الممكنة لعدم فقدان مصداقيه الدولة.

زعيم البناء، هل أعطى موسوليني منزلاً لجميع الإيطاليين؟ منذ نهاية القرن التاسع عشر شهدت إيطاليا ازدهاراً ديموغرافياً وانتقل جزء من السكان إلى المدن مما أدى إلى الطلب على منازل جديدة. أصدر الوزير لوتزاتي من اليمين الليبرالي المرسوم الأول لخطة البيت. الفاشية لم تفعل شيئاً سوى أخذ جميع مؤسسات الإسكان العام وإعادة تسميتها إلى الإدارات الفاشية الإقليمية. مرة أخرى، وضعت الفاشية قبعتها على مشروع ليس مشروعها الخاص.

كان سلوك حكومة موسوليني بعد الزلزال في إيريبييا وبازيليكا عام ١٩٣٠ متملقاً أيضاً: ظل ضحايا الزلزال في الخيام في انتظار المنازل الجديدة وكان الحل



ثقافته التفشي: كارثة إيبولا والوباء القادم

طلال اليزيدي *

عندما تفشى وباء إيبولا في غرب إفريقيا عام ٢٠١٤، تفشى بسرعة جنونية تعدت القدرة على الردع. عند انتهاء الوباء في عام ٢٠١٦، أصيب بالعدوى أكثر من ٢٨,٠٠٠ شخصاً وسجلت ١١٣٢٥ حالة وفاة بسبب المرض. لم يكن من المفروض أن يحدث ذلك كما كتبت بارديس ساباتي (Pardis Sabeti) ولارا صلاحى (Lara Salahi) في كتاب «ثقافته التفشي: كارثة إيبولا والوباء القادم». في كتابهما كشفتا الفوضى خلف تجاوب العالم مع تفشى وباء إيبولا بين عامي ٢٠١٤-٢٠١٦، واقترحتا بعض الأطروحات لتفادي أوبئة مستقبلية أخرى.

خان ولد ونشأ في سيرايلون، وعلى الرغم من الصعوبات الهائلة في تلك البلد، أصبح باحثاً ورائداً في الحمى النزيفية هناك. كان خان من أوائل الأطباء الذين استجابوا لتفشي إيبولا، وقد رعى المصابين بفيروس إيبولا في البلاد في النصف الأول من تفشي الوباء. في يوليو ٢٠١٤، توفي خان بسبب مرض إيبولا. يبدأ الكتاب بالقضايا السياسية والأخلاقية التي تحيط بعلاج خان، أين كان من الممكن أن يعالج؟ هل كان يجب إعطاؤه علاجات تجريبية؟ ماذا عن الفشل في إخلائه (أو التأخير في القيام بذلك) ليحصل على رعاية أكثر تقدماً، حتى ولو من قبل المستجيبين الدوليين من الغرب لتفشي إيبولا. تؤكد قصه خان واحدة من الحقائق الأساسية للكتاب، فحيث ولادتك يقرر ما إذا كنت ستعيش وباء الإيبولا أم لا، فمن راحة المختبرات والعيادات الغربية من السهل نسيان الاختلافات في مستوى العلاج مقارنة بملايين الأشخاص في المجتمعات الفقيرة. من الصعب تجاهل هذه الاختلافات عندما تعمل في الميدان لمكافحة إيبولا، جنباً لجنب مع مقدمي الرعاية الصحية الذين يعلمون أنه لن يتم نقلهم جواً إلى رعاية أفضل إذا ما مرضوا، ولكنهم يتحلون بشجاعة لا يمكن تصورها لمواصلة العمل في تلك الظروف. كتاب ثقافة التفشي يمثل الصوت المناشد بعدالة أكبر في التفشي للوباء القادم.

كتاب ثقافة التفشي مبني على الآراء التراكمية لأكثر من ٢٠٠ شخص من الأطباء والباحثين والإداريين والعاملين في مجال الصحة العامة، ممن عملوا في الصفوف الأمامية للاستجابة على تفشي وباء إيبولا

الاختلافات هذه على رأي الكتاب تظهر بسبب التركيبة المجتمعية غير المتساوية، والتنافس بين بعض الجمعيات الدولية حيث يعمل بعض الموظفين تحت ضغوط نفسية عالية، فكما ذكر في الكتاب «في الحقيقة نظام ردع الأوبئة الحالي يزيد من تصدع نظام ضعيف جداً». تقول لارا صلاحى «لتجنب إعادة نفس الأخطاء مع كل تفشٍ لوباء جديد، يجب أن يتحول النظام إلى مقام يفضل التعاون على التنافسية، والاستعداد على خلاف اتخاذ إجراء متأخر». ساباتي تقول إن خبرتها الميدانية في سيرايلون بين عامي ٢٠١٤ و٢٠١٥ في مكافحة وباء إيبولا تتوافق مع لارا صلاحى، أثناء كتابة الكتاب لارا كانت تعمل في أوغندا ليس بعيداً من مركز تفشي مرض إيبولا في جمهورية الكونغو. الأوضاع الرديئة والاختلافات الوظيفية المصاحبة لتفشي الوباء لا تقتصر فقط على تفشي وباء إيبولا، فقد وثق نفس الخلل وأحياناً أسوأ أثناء الأوبئة الأخرى المنتشرة على نطاق واسع. فالثقافة المصاحبة لكل تفشٍ كانت السبب في الوصم السيء للمصابين بالإيدز في ثمانينيات القرن الماضي، وأدت إلى نقص الإبلاغ عن الحالات الأولية لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد (السارس) في الصين عام ٢٠٠٢، وتأخر البحث في تفشي إنفلونزا الطيور في إندونيسيا عام ٢٠٠٦، كذلك أدى إلى إعاقة الاستجابة لتفشي فيروس زيكا.

الكتاب يصف الاستجابات على مستويات مختلفة في كل حالة طوارئ إنسانية. لكن إذا كان هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال يتحدث عن شخص واحد فهو يتحدث عن شيخ عمر خان. فقصة عمر خان منسوجة في الكتاب من خلال الحجج التي طرحتها الكاتبتان.

ساباتي باحثة في مجال علوم الجينات، كانت من ضمن الفريق الذي حدد مكان وزمان انتقال فيروس إيبولا من الحيوانات إلى البشر، لكن أثناء تعاونها مع المسؤولين في إفريقيا الغربية لاحظت أن التجاوب مع المرض لم يكن بدرجة جيدة تنسيقياً، فاندلعت التوترات على المستوى الشخصي بين المسؤولين. التجاوب السياسي واللوجستي البطيء عرقل أيضاً سرعة عملية التجاوب مع الوباء. في معظم الوقت تفشى الخوف أيضاً خوفاً من عواقب كارثية بسبب بطء التجاوب مع التفشي.

لارا صلاحى في الجانب الآخر كانت صحفية ومع ساباتي طرحتا في كتابهما قضية «ثقافته التفشي»، تناقش المهالك والأوضاع الرديئة التي تتطور أثناء تفشي الأمراض المعدية. هذه الثقافة تزدهر مع الإنكار واللوم وانعدام الثقة بين المسؤولين، فتسقط الأخلاق وآداب المهنة، فالشاهير والمسؤولون يستخدمون الوباء كسبيل للشهرة، بينما في مواقع تفشي الوباء يتزاحم الناس على قلة الموارد المطلوبة لمكافحة الوباء. فالمهالك في مناطق الوباء تتعاقب كتنبؤ قصة أحد الأفلام المرعبة، لكنها تحدث مراراً وتكراراً. تقر الكاتبتان أنه عند العمل في منظمة لمكافحة الوباء تؤمن بها، لكن في نفس الوقت تعترف بالاختلال الوظيفي في هذه المنظومة، يكون من الصعب جداً تقديم انتقادات متزنة، فالعواقب تكون عالية جداً عندما تكون المنظومة هذه مسؤولة عن التجاوب لحالة طوارئ إنسانية.

الفكرة الرئيسية للكتاب مرتكزة حول الاختلال الوظيفي المصاحب في الرد على تفشي الأوبئة.



إلى التعاون، ذلك التحول وحده سيحدد قوتنا على الاستجابة لا سيما أن التهديدات لتفشي الأوبئة من الطبيعي أن تكون متزايدة.

ليس هنالك شك في أن دمج وكالات وفاعلين متعددين للاستجابة لتفشي الأوبئة يخلق جزءاً إيجابياً لمكافحة التفشي، لكن هذا الدمج يجب أن يكون مع نوايا الاستجابة الشاملة التعاونية. ففي الوقت الحالي توجد تدابير محدودة لضمان المساءلة في خضم الوضع المتقلب للتفشي وغير متوقع. فلتصحيح ثقافة التفشي الحالية يتطلب العمل من أجل العدالة التنظيمية وكذلك وضع مبادئ وحوافز للشفافية، والتعاون حتى تشعر جميع الجهات الفاعلة لمواجهة الوباء بالدعم. بالإضافة إلى ذلك يجب على جميع الوكالات المشاركة في العمل إنشاء أهداف مشتركة لدعم الجهود على أرض الواقع، بما في ذلك جمع البيانات، والبحث، وإشراك المجتمع في هذه المعلومات. هذه الإجراءات لتصحيح ثقافة التفشي الحالية ليست سوى عدد قليل من تلك المناقشة في الكتاب.

ينبغي مواجهة الأوبئة القادمة بالاستعداد متمثلاً في توجيهات للعامّة على مستوى عالمي، وهيكل إدارة عالمية لمكافحة الوباء. إذا لم تتغير العقلية على مستوى العالم لصالح الاستعداد للاستجابة لتفشي الأوبئة فسوف يستمر الخلل الوظيفي لمنظومة مكافحة المنظمات المكلفة بالرد على تفشي الأوبئة ما زال لديها الكثير لتتعلمه لتمكين استعدادها الدائم. العالم بحاجة إلى هيكل حكم مركزي مخصص للأمن الصحي العالمي مشابهة للنهج العسكري في الاستعداد والاستجابة. يعتبر تفشي إيبولا في جمهورية الكونغو الديمقراطية مثالاً على الحاجة الملحة إلى بعثات مكافحة أقوى وموسعة بهدف واضح لمنع تفاقم تفشي الوباء وانتشاره.

• الكتاب: ثقافته التفشي: كارثة إيبولا

والوباء القادم

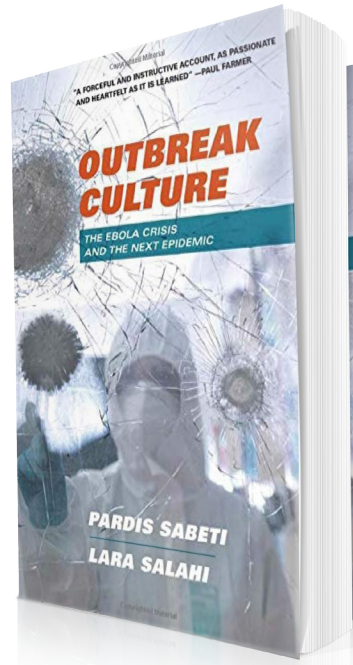
• المؤلفان: لارا صلاحي وبارديس ساباتي

• دار النشر: Harvard University Press

• سنة النشر: 2018

• عدد الصفحات: 288

* كاتب عُمانى



التنظيمية والاختلافات الثقافية وانعدام الثقة وما أدت إليه من تواصل غير فعال للتجاوب على النقاط الحاسمة خلال الوباء.

على الرغم من كل هذه الانتقادات إلا أن الكتاب ينتهي بملاحظات إيجابية. فالكتاب يربط حالات الفشل أثناء تفشي الأوبئة بضجوات أساسية ومحددة تتعلق بالإدارة، على سبيل المثال التحكم بالطرق التي يتم بها توزيع المساعدات لتجنب تسريب واستنزاف الأموال من قبل بعض الأفراد. فالكتاب يحدد العمليات الأساسية المطلوبة لإصلاح الضجوات في النظام الحالي. الإصلاحات هذه تشمل تبسيط أنظمة الاتصال بين المنظمات والمجموعات الشريكة في الاستجابة على تفشي الوباء، وإنشاء هيكل مركزي لإدارة البحوث يتكون من خبراء متعاونين على مستوى عالٍ من دون وجود أي تضارب في المصالح.

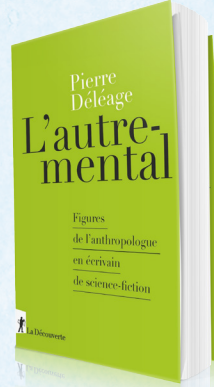
فعلى رأى الكاتبتين الثقافة المصاحبة لكل تفشٍ المعيقة لسرعة الاستجابة يمكن تغييرها. لكن ذلك يتطلب قرارات مدروسة يتم تنفيذها بعناية، تحكمها المبادئ الأساسية، ومسترشدة بالواقعية، والصدق والشفافية والمساءلة. فالتغيير يتطلب إزالة الحواجز التي من صنع الإنسان، في بعض الأحيان متعمدة، وتعوق التنظيم والتعاون اللازمين لقمع تفشي الأوبئة. فثقافة التفشي لمكافحة فعالة للأوبئة يجب أن تتحول إلى عقل جماعي حيث الكل مؤمن بمبدأ واحد وهو مكافحة، والممارسات يجب أن تتحول

في غرب إفريقيا. لكن الكتاب يميز نفسه ويحتفظ بنبرة شخصية على الرغم من جلب بعض الآراء الفردية. كما يتضمن الكتاب أيضاً بعض تحليلات ما بعد الوباء من قبل بعض المنظمات الدولية والحكومات، كالمراجعات الداخلية والخارجية لمنظمة الصحة العالمية والتقارير المستقلة من الأكاديمية الوطنية الأمريكية للطب وبعض المتعاونين الأكاديميين الآخرين. يتحدث الكتاب أيضاً بلغة إنسانية عن التحديات المنبثقة من تفشي الأوبئة من خلال سرد قصص الباحثين والأطباء والمرضى، بما في ذلك ساباتي وأعضاء مختبرها. اليوم، كل تفشٍ جديد يتطلب إعادة هيكلة لهيكله الإدارية، والمفوضات والعمليات لمكافحة الوباء تتم مباشرة. لكن لارا وساباتي تجادلان بأن قلة الهيكل الإدارية والرقابة الموثوقة في غرب إفريقيا خلقت مساحة حيث التنافسية والطموحات والمصالح الشخصية تسببت في تفاقم الآثار المدمرة للوباء. الكتاب يسلط الضوء على نقاط الضعف - التي تجنبها التقارير السابقة - في الجبهة الأمامية لمكافحة الوباء التي تبطن وتعرقل الاستجابة. قابلت المؤلفتان العديد من الأشخاص وأرسلتا استبياناً عبر البريد الإلكتروني، أجاب عنه 122 شخصاً. الإجابة على الاستبانة كانت بطريقة مجهولة لأنه بخلاف ذلك معظم الأشخاص سيرفضون الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالتنافسية والفساد والتبذير. قال 27% من المستجيبين أنهم لاحظوا بعض الأساليب غير القانونية خلال الوباء. وأشار 27% آخرون أنهم تعرضوا للترهيب من أشخاص آخرين يعملون في المنظومة، إما عن طريق مواجهته شخصياً أو مشاهدته يحدث شخصاً آخر أو سماعه والسماح باستمراره.

ذكرت ساباتي ولارا صلاحي قصصاً عن كيفية تكديس البيانات والعينات التي كان من الممكن أن تساعد في المجابهة من قبل بعض الباحثين والمنظمات، بما في ذلك العديد من الأفراد بداخل العديد من هيئات الصحة الدولية العامة. هذا الكتاب يقدم سرداً ثابتاً عن الفساد على جميع المستويات استنزاف الموارد العامة عن المجتمعات والأفراد المحتاجة. على سبيل المثال أكد الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر اختلاس ما يقارب 6 ملايين دولار أمريكي من الأموال المخصصة لإيبولا في غرب إفريقيا، كما تسلط المؤلفتان الضوء على أمثلة ملموسة عن السياسة

إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات من اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)



الكتاب: العقل الآخر.

المؤلف: بيير ديليج

الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا

سنة النشر: 2020

عدد الصفحات: 192 صفحة

ينطلق الكتاب من طرح سؤال جوهري: هل يتبع علماء الأنثروبولوجيا وكتاب الخيال العلمي المنهج نفسه أثناء سعيهما وراء الآخر المختلف؟ الجواب بالتأكيد، نعم، فبينما يلجأ كُتاب الخيال العلمي إلى الخيال لاكتشاف العالم المذهل للكائنات العجائبة التي لا تستوطن إلا عقولهم وشغفهم، فإن الأنثروبولوجيين يلجؤون إلى العلم لوصف مجتمعات أخرى بوصفها غريبة ومذهلة كما تظهر من خلال عاداتها وطريقة تفكيرها وكأنها لا تنتمي إلى الواقع. ومع ذلك، فإن بعض علماء الأنثروبولوجيا يعبرون أحياناً هذه الحدود: من خلال تجاهل طرق التفكير في الثقافات التي يقترحون دراستها، مستبدلين إياها بخيالهم الغرائبي والغامض. ما بين ١٩٠٠-١٩٢٥: ابتكر لوسيان ليفي - برول فكرة امتيازاً نسبه إلى ما يسمى بالمجتمعات البدائية. وما بين ١٩٢٥-١٩٥٠: ابتكر بنيامين لي وورف فكرة عن الحدث اعتبرها متأصلة في لغة الهوبي. وما بين ١٩٥٠-١٩٧٥: ابتدع كارلوس كاستانيدا فكرة رؤيوية نسبها إلى شخصية ياكبي خيالية. وما بين ١٩٧٥-٢٠٠٠: إختلق إدواردو فيغروس دي كاسترو فكرة متعدد الطبيعة يدعي أنه مشتق من التقاليد الأمريكية الأصلية.

من خلال الكشف عن تدافع مستويات الواقع التي يتميز كاتب مثل فيليب ك.ديك لي جعل عمله يلقي صدى مع التحولات النظرية لهذه المدرسة الفكرية الهامشية، يتعهد بيير ديليج بإنجاز حفريات في هذه البحوث غير الموضوعية محاولاً ربطها بالعلاقات بشكل مختلف هذه العلاقات التي غالباً ما تكون متناقضة ولكنها منتجة وخصبة دائماً، بين العلم والخيال.



الكتاب: الشغف بالمفهوم

نظرية المعرفة واللاهوت والسياسة.

كتابات II

المؤلف: إتيان باليبار

الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا

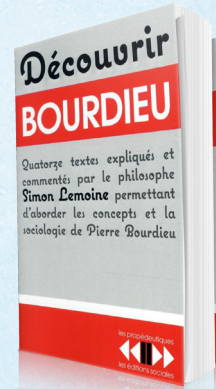
سنة النشر: 2020

عدد الصفحات: 276 صفحة

يتكون هذا المجلد الثاني من كتابات الفيلسوف الفرنسي إتيان باليبار من تسع دراسات فلسفية عن مفكرين كلاسيكيين أو معاصرين مثل كانغويلهيم، باديو، باسكال، ميكيافيلي، ماركس، ألتوسير وفوكو، وغيرهم) من أجل طرح أسئلة المعرفة العلمية والسياسية وأثرها على التفكير، بين التأمل النظري وتفسير الأحداث الجارية.

كتبت هذه الدراسات بين عامي ١٩٩٤ و٢٠١٦، وهي توضح مرور المؤلف من نظرية المعرفة التاريخية والنقدية، والتي كان السؤال المركزي منها هو الربط بين الأيديولوجيا والعلم، وفينومينولوجيا مقولات الحقيقة، التي تتعارض طبيعتها الجوهرية، والمفتوحة على «متطلبات» الظروف، وتدل على تدخل مستمر بين البحث عن الموضوع، ولحظة الفرار الحتمية وتكرار تقاليد البحث النظري العظيمة. يتشارك هذان النوعان من الأبحاث، اللذان يبدوان أنهما غير متوافقين، في الشغف المشترك بالمفهوم، وهو أمر مشترك بين جميع المؤلفين الذين شرحت نظرياتهم الفكرية.

توزعت القراءات المقترحة إلى ثلاث مجموعات موضوعاتية، حول صيغ عرضية، يتم توثيق مساراتها من مؤلف إلى آخر: تاريخ الحقيقة، مسألة الهرطقة، الأيديولوجيا العلمية. وتفضي كلها إلى مخطط إشكالي عن الصعود الجدلي (على عكس «الصعود الدلالي» عند المناطقة) التي تؤدي إلى مواجهات نظرية، وبذلك تنكشف مفاهيمهم وقضاياهم.



الكتاب: اكتشاف بورديو

المؤلف: سيمون ليموين

الناشر: المنشورات الاجتماعية فرنسا.

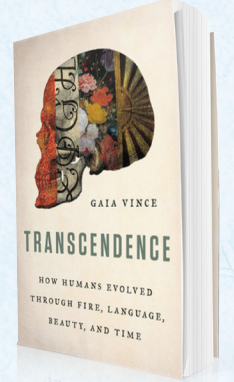
سنة النشر: 2020

عدد الصفحات: 182 صفحة

يشرح الفيلسوف سيمون ليموين أربعة عشر نصاً ويعلق عليها لمعالجة مفاهيم عالم الاجتماع المرموق بيير بورديو. تحظى مفاهيم بيير بورديو بشعبية كبيرة لدرجة أننا، حتى خارج علم الاجتماع النقدي، نجدتها في الأدب الصحفي، في نصوص المنظمات، في الخطب السياسية... يهدف كتاب سيمون ليموين، دكتور الفلسفة، إلى تسليط الضوء على المفاهيم الرئيسية للمفكر البارز الذي كرس نفسه لدراسة ومعرفة حركات المجتمع. كيف يهيمن المهيمون؟ هل يمكن استخدام علم الاجتماع لتغيير علاقات القوة، ما هي قوة العنف الرمزي، ما المقصود بمفهوم الهايبوتوس، والتميز، وكيف يعمل الإنتاج الاجتماعي؟ الكثير من الأسئلة التي تدفع لإعادة «اكتشاف» بيير بورديو في تعدده وتفردته وإنتاجه الفكري ليصبح الكتاب في النهاية مقدمة أساسية لعلم اجتماع البوردوي، وانطلاقاً منه مقارنة جادة لفهم الحاضر الملتبس الذي يبين بجلاء صحة تحليلات بورديو ونتائج الفكرية وحتى تنبؤاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

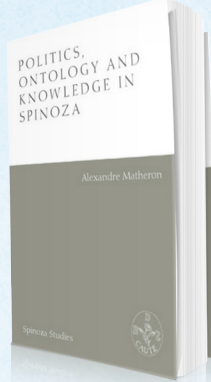
إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات الفلسفية في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)



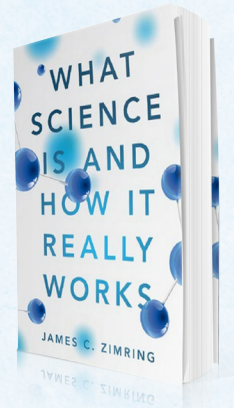
**الكتاب: التعالي: كيف تطور البشر عبر النار
واللغة والجمال والزمان.
اسم المؤلفة: جايا فينس
دار النشر: بازيك بوكس
تاريخ النشر: 2020**

**الكتاب: السياسة والأنطولوجيا
والمعرفة عند اسبينوزا
اسم المؤلف: ألكسندر ماتيرون
دار النشر: جامعة إدنبره
تاريخ النشر: 2020**



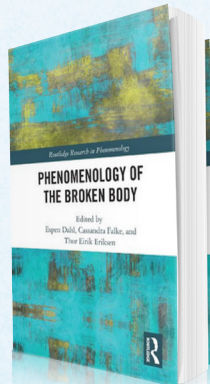
هذه فرصة لمن يعشقون الفكر الفلسفي الفرنسي ويعوزهم إيجاد مدخل سهل المتناول إليه بلسانه الأصلي. هو كتاب أحد أهم الدارسين لفكر الفيلسوف الهولندي اسبينوزا. أحد الفلاسفة الذين لا يبلى فكرهم، والذين يعاد إليهم باستمرار العودة بل العودات. وهو الدارس الذي كان قد لفت الانتباه إليه منذ كتابه الأول عن هذا الفيلسوف: «الفرد والجماعة عند اسبينوزا» (١٩٦٩). يجمع الكتاب بين دفتيه عشرين مقالة لهذا الباحث مدارها على علم الوجود عند اسبينوزا، وعلى نظرية المعرفة، وعلى نظرية السياسة، وعلى النظرية الإتيقية [فلسفة أسلوب العيش]، وذلك بعقد مقارنات مهمة بين جديد اسبينوزا بالقياس إلى أسلافه وبالنظر إلى حوارهم مع مجاليه.

ولا يزال الكائن المولع بالألغاز – الإنسان – لغزا حتى بالنسبة إلى نفسه. على أن العلوم المعاصرة تحاول شيئا فشيئا إمالة اللثام عن هذا الكائن الملغز الملغز. في هذا الإطار يأتي كتاب «التعالي: كيف تطور البشر عبر النار واللغة والجمال والزمان»، وهو كتاب يحاول الإجابة عن التساؤلات التالية: ما الذي أهل الإنسان لكي ينتقل من عهد الحجر إلى عهد الهاتف الذكي؟ كيف تطورت عصابة من أصحاب القنص واللقط إلى إمبراطوريات ضخمة؟ وتجب صاحبة الكتاب بأن البشر الحديثين إنما هم ثمرة تضافر تطور جيناتنا ومحيطنا وثقافتنا منذ أمد بعيد. وتفسر لنا من خلال أربعة مداخل - النار، واللغة، والجمال، والزمان - كيف خالف مسارنا مسار بقية الحيوانات، حتى صرنا إلى عصر غزو الفضاء وما بعد ذلك. كتاب يجمع بين أمرين - الاستغزاز والشاعرية. كي يظهر كيف استطاع الإنسان السيطرة على الطبيعة وتحويل نفسه إلى كائن عجيب.



**الكتاب: ما العلم وكيف يشتغل حقيقة
اسم المؤلف: جيمس زيمرينج
دار النشر: مطابع جامعة كامبريدج
تاريخ النشر: 2019**

**الكتاب: فينومينولوجيا الجسد الكسير
اسم المؤلف: تأليف جماعي تحت إشراف إيسبن
داهن وكاسندرا فالك وطور إريك إريكسن
دار النشر: راوتليدج
تاريخ النشر: 2019**



الفينومينولوجيا [الظواهرية] فلسفة تعنى بوصف الظواهر الوصف المجرد عن كل هوى مسبق أو معرفة سالفة. ومن بين أهم الظواهر التي اهتمت بها الفينومينولوجيا ظاهرة «الجسد». وجديد هذا الكتاب أنه لا يهتم بالجسد السليم وإنما بالجسد السقيم. ذلك أننا من شأننا ألا ننتبه إلى بعض ظواهر الجسد إلا عندما ينكسر بالمرض أو يعثره الضعف أو يلهم به الألم. ومن هنا تركيز هذا الكتاب على معيش الجسد الكسير. كتاب يسلط الضوء على مختلف التحليلات الفينومينولوجية للجسد المعيش - سويته بالقياس إلى عدم سويته، سلامته بالمقارنة مع سقامته، نشاطه بالصد من خموله. ويضم المشاركون في هذا الكتاب جهود بعضهم إلى البعض لكي يتناولوا الجسد وانكساره في الفلسفة واللاهوت والطب والأدب، ملقين بذلك الضوء على تجربة انعطاب الجسد في الحياة العادية، وكيف أن الفينومينولوجيا تطور تجربة المعيش هذه لتطرح حولها أسئلة تتعلق بإدراك الجسد وبفهم أمره وكنهه.

ما أحوجنا إلى هذا النوع من الكتب في زمان كثرت فيه ألوان من الشعوذة وحقائل من نظريات المؤامرة التي لا تكاد تتوقف إلا لكي تبدأ من جديد. الكتاب من تأليف عالم ممارس، وهو كتاب يدور على مسائل الإستمولوجيا (النظر في طبيعة المعرفة العلمية ومدياتها وحدودها). يتكون الكتاب من ثلاثة أبواب. من مواد الباب الأول: ما الذي يمكن أن نعرفه حقيقة؟ وما مشكلة المعرفة؟ وكيف يفكر البشر؟ ومن المدارات التي دار عليها الباب الثاني: كيف يختلف الاستدلال العلمي عن باقي أنواع الاستدلال؟ ولماذا يشتغل العلماء على موضوعات ولا يشتغلون على أخرى؟ وكيف يمكن لملاحظات العلماء أن تختلف عن واقع العالم؟ ومن القضايا التي تناولها الباب الثالث: كيف يحاول العلم تصحيح أخطائه؟ وهل درسنا العلم حقا؟ وما تأثير المجتمع على العلم؟

مجلة التفاهم

عنوان العدد: إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني
الأبعاد القيميّة والكونيّة

آفاق

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: المبادئ والقيم - عز العرب لحكيم بناني.
- الإرث الروحي العالمي والمشارك الإنساني الجامع - محسن العوني.
- إسهام العلوم الاجتماعية في مدّ جذور عابرة للثقافات وللفلسفات المختلفة - عائشة التايب.
- فلسفة الوحدة في التنوع - أديب صعب.
- بين الشرق والغرب: نحو نموذج فلسفي عالمي..تعدي وإنساني- صلاح سالم.
- إشكاليّة الوحدة والتنوع في الثقافة - منجي الزيدي.

المحاور

- الرؤية الكونيّة أساساً للتعاون بين الأديان : الرّحمة والتعارف والأخلاق - عبد الله بن محمد السالمي.
- الإيلاف والائتلاف والمؤتلف الإنساني : الأسرار اللغوية والرؤية القرآنية والأبعاد الحضارية - فيصل الحفيان.
- العقل والعدل والأخلاق في «المؤتلف الإنساني» - رضوان السيد.
- المؤتلف الإنساني والسلام العالمي - عبدالرحمن السالمي.
- أخلاق الواجب والمؤتلف الإنساني في الفلسفة المعاصرة - الزواوي بغوره.
- من التداولية إلى المؤتلف الإنساني - فتحي المسكيني.
- قيمة الكرامة و المؤتلف الإنساني - محمد الشيخ.
- يسألونك عن المؤتلف الإنساني! - حاتم الطائي.
- المؤتلف الإنساني واستقامة نظام الأرض - محمد بن سعيد المعمرى.
- مداخل المؤتلف الإنساني: حقوق الضيافة والجوار- يوسف أشلحي.
- نظرية الأخلاق العالمية والمؤتلف الإنساني عند هانز كرنج- مصطفى النشار.
- العدل والأخلاق في المؤتلف الإنساني - ياسر قنوه.
- تجليات المؤتلف الإنساني في الأديان العالمية - عز الدين عناية.

دراسات

- المؤتلف الإنساني في التصوّرات اليهودية المعاصرة - ماوريسيو أنتينوتشي.
- المسيحية المعاصرة ومسارات الائتلاف الديني - ماريا أديلي رودجيرو.
- المؤتلف الإنساني من منظور الثقافة الصينيّة - حسام المغربي.

وجهات نظر

- في بعض إشكالات المؤتلف الإنساني الكوني خواطر في رهانات المفهوم وفي مفارقاته - عبدالعزيز لبيب.
- الترجمة جسراً لبناء المؤتلف الإنساني - عبدالسلام بنعبد العالي.
- الزمن الرقمي وسؤال المؤتلف الإنساني - محمد نور الدين أفاية.
- الانبعاث الإنساني في مواجهة الآثار التفتيتية للعولمة - أحمد زايد.



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 +968 , فاكس: +968 24605799

البريد الإلكتروني: www.alfahom.net - al.tafahom@gmail.com - tafahom@gmail.com